وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كليـــــــة الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

صورة المرأة في ديوان السّاعر

لـ : " محمد جربوعة "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية

تخصص : أدب حديث و معاصر

إعداد الطالب :

رهيوي سليم

إشراف الدكتورة

بايزيد فاطمة الزهراء

السنة الجامعية :

1435 /1436 هـ

2014 /2015 م

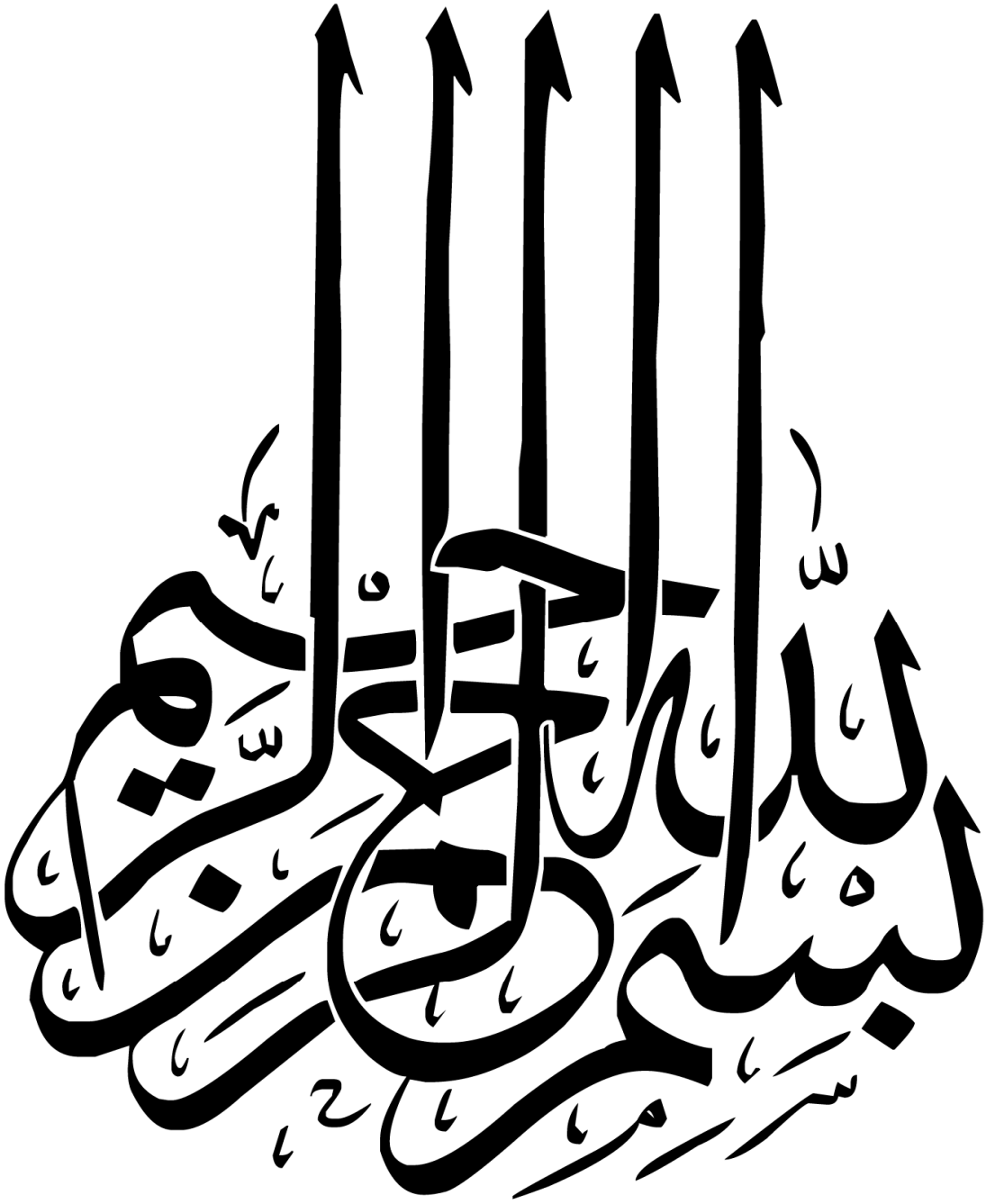
بسم الله الرحمن الرحيم

إهــــــــــداء

إلى مَنْ رَعتْني صَغيرا بمَهدي *** إلــى مَنْ حَبلني صَبياً ابـــِـــوُدّ

إليهـا،إليـه،أُقَــدِّمُ شَهْــدي *** وأُهْـدي ثِمَـاري،وأَمنَحُ جُهْدي

إلــى نُورِ دَرْبــي والأَحِبَّـنِـين *** إلى زَهْوِ قَلْبي وَفلْــذَات كَبـدْي

وكــــلِّي يقينٌ بعــون إلــهي *** فقد قال إني قريب لعبـــدي

فحمـدا لربي وشكرا لصـحبي *** فذا العلم نور وذا الحب عندي

سليم رهيوي

شكر وعرفان

إذا كان لا بدّ لي أن أشكر أحدا فالشكر الأول لله تعالى الواحد الأحد،وبتوفيقه الشكر موصول إلى الوالدين الكريمين سبب وجودي بإذن الله،وإلى الزوجة الكريمة التي كانت لي خير سند وإلى أبنائي الأعزاء،والشكر كل الشكر إلى أساتذتي الكرام وأخص بالذكر أستاذتي المشرفة الدكتورة "بايزيد فاطمة الزهراء" والأستاذ الشاعر المبدع "محمدجربوعة"،والشيخ الشاعر "رمضان بونكانو"،والأصدقاء "فاروق"،"سليم"،"نبيل" و"المسعود" و"مصطفى"،فشكرا جزيلا وجزى الله الجميع خير الجزاء.

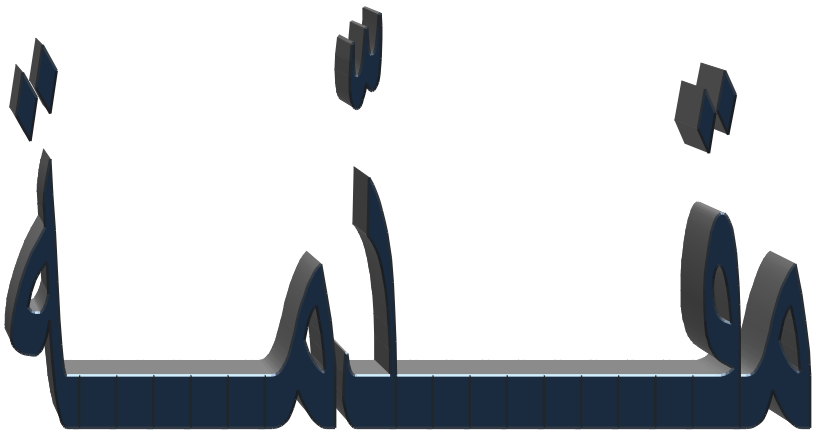
مقدمة

الحمد لله الذي خلق من كل شيء زوجين،وجعل المرأة شقيقة الرجل ،وجعل بينهما مودة ورحمة،فكانت المرأة حجرا أساسا وركنا متينا في بناء الأسرة و المجتمع،وطالما كانت الحضن الدافئ الذي يلجأ له الرجل،وكانت مصدر إلهام الشعراء منذ الأزل فتغنوا بها وبجمالها وصوروها في صور عدة،ولا يزال الشاعر العربي يتغنى بها إلى غاية يومنا هذا.

ومن هنا جاء هذا البحث الموسوم ب:صورة المرأة في ديوان "الساعر" للشاعر "محمد جربوعة"، هذا الديوان الذي كانت المرأة حاضرة فيه بقوة،لأن القصة الشعرية في الأساس قائمة على رحلة بحث عن فتاة أحلام "الساعر" أو الشاعر السائح وفي طريقه كانت له عدة محطات وفي كل محطة تكون له قصة مع فتاة من فتيات تلك القبيلة التي حط رحاله بها،وما زادني تشجيعا لدراسة هذا الديوان أن أحدا لم يتعرض له بالدراسة،بالإضافة إلى ذلك تتبعي له منذ ولادته حين بدأ الشاعر محمد جربوعة نشره على شبكة التواصل على صفحته،فتتبعته منذ الحلقة الأولى،فكان ما ذكرته دافعا لدراسته،وهكذا تكون المرأة حاضرة في الشعر المعاصر أيضا ولم تبرحه،لكن إذا كانت المرأة قد حظيت بهذا الاهتمام وتلك الهالة التي أحاطها بها الشعراء فكيف كانت صورتها في مخيال الشاعر العربي؟ وهل كانت الصورة واحدة عند الشاعر القديم والشاعر المعاصر؟وهل كانت الصورة مادية حسية أم معنوية روحية؟ وكيف كانت صورة المرأة في ديوان "الساعر"؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات بدا لنا أن نستعين بالمنهج الموضوعاتي وآلية التحليل لدراسة الديوان الذي بين أيدينا،في ضوء خطة شملت مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة،تكلمت في المدخل عن مظاهر الجمال التي تستهوي الشعراء وعلى رأسها جمال المرأة،وقدرة الشاعر العربي على

التصوير وترجمةذلك الجمال،والحيّز الذي خصصه الشاعر للمرأة منذ القديم مما يوحي بمكانة المرأة في الشعر وعند الرجل.

أما الفصل الأول فقد تكلمت فيه عن صورة المرأة في الشعر العربي،تطرقت في العنصر الأول إلى صورة المرأة في الموروث الشعري العربي وكيف صورها الشاعر العربي القديم،وهل كانت الصورة حسية مادية أم نفسية معنوية،أما العنصر الثاني تحدثت فيه عن صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر وأخذت مثالا من الشعراء المعاصرين وهما نزار قباني ومحمود درويش،والفصل الثاني خصص للديوان الذي وقع اختياري عليه وهو ديوان "الساعر"للشاعر "محمد جربوعة" وكان فيه دراسة أنماط المرأة في الديوان كعنصر أول وبعده التناص حيث استخرجت التناص الديني والأدبي والتراثي والأسطوري،ثم انتقلت إلى تجليات العذرية للشاعر وكانت المحطة الأخيرة هي الخصائص الفنية من لغة وأسلوب والبنية الإيقاعية من وزن إلى قافية،والمعجم الشعري الخاص بالشاعر و في الأخير انتهت الدراسة بخاتمة أجملت فيها أبرز النتائج التي خلصت إليها وبعض النقائص التي سقطت من عرض البحث ، وقد استعنت بعدة مصادر ومراجع أذكر منها الخيال الشعري عند العرب "لأبي القاسم الشابي"،ومائة قضيةوقضية "لعبد الملك مرتاض"،والمرأة في شعر "نزار قباني" لصلاح الدين الهواري"،والمرأة والوطن في شعر نزار قباني،وغيرهم،أما الصعوبات والعوائق التي واجهتني فهي قلّة الدراسات السابقة في موضوع المرأة خاصة في الشعر،وحتى إن وجدت دراسات فهي في الشعر القديم،الجاهلي أو الإسلامي..

ولا يسعني في الأخير إلا أن أقدم الشكر الجزيل للأستاذة المشرفة "بايزيد فاطمة الزهراء" التي كانت سندا في هذا البحث ومدت لي يد العون ووجهتني منذ البداية،وفي الأخير فإنني لا أدعي الإحاطة بالموضوع ولكن ما أنا متيقن منه هو صدق النية وإخلاص القصد،وبذل الجهد لإخراج هذا العمل في أفضل صورة،ويبقى التوفيق من عند الله والتقصير من طبع البشر والكمال لله.

مـــدخـــــل

إنّ مظاهر الجمال في الكون كثيرة و متنوعة تستهوي الأديب و الشاعر،وغيرهما إلا أن التعبير عنها يبقى في طريقة الكتابة بين النثر و الشعر. " فمن يا ترى الذي يصور هذا الشعور بالجمال؟ ومن الذي يصف لذائذك النفسية و آلامك و بؤسك و نعمائك ؟.لن يصورها اللغويون و لا الفقهاء، و لا المحدثون و لا الأطباء والمهندسون كل أولائك يعيشون مع الجسد و العقل محبوسين في معقلهما لا يسرحون في فضاء الأحلام و لا يوغلون في أودية القلب... فمن هم أهل القلوب إنهم الشعراء يا سيدي و ذلك هو الشعر"[1] من هنا يتبين لنا أن الشعراء تكمن في داخلهم تلك القدرة على الشعور بالجمال أكثر من غيرهم. "ولعل مظاهر الجمال الأنثوي استهوت الشاعر العربي فانفعل بها وراح يتغنى بجمالها فعبر عن الطبيعة حية وميتة كما افتتن بالجمال البشري فكان أغلب الشعر العربي يدور حول المرأة لأن الشاعر وجد المرأة خير وسيلة تجسد إحساسه بالجمال وتذوقه له"[2]، إذا يبقى الشاعر يصور لنا الجمال البشري ويحدد ملامحه،ويبقى الشعر صورة معبرة عن إحساس العربي بالجمال"وقد بدت المرأة معبودة الإنسان منذ كان الإنسان فقد أقام لها محاريب الحب ومعابده ليقدم لها مناسك فؤاده،ونحت لها من كيانه أجمل الهياكل والتماثيل والمرأة في هذا المهرجان الخالد تباهت متعالية تهوى الثناء وتشغف بالمديح،تميل وتصد فتنفجر بميلها وصدها ذوبا من الجروح ،فلا عجب إن جعل الأقدمون آلهة للحب والجمال ولهذا لم تكن أفروديت وعشتروت في الميثولوجيا القديمة أقل شأنا من آلهة الحب والحكمة"[3]

[1] علي الطنطاوي ، فكر و مباحث ، دار المنارة ،جدة ،ط 2 ،2011 ،ص 40.

[2] دحمان ميلودي،صورة المرأة في الشعر القديم،مذكرة ماجستير،جامعة ورقلة،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،2009،ص15

[3] عمر فاروق الطباع،مواقف في الأدب الأموي،دار العلوم،بيروت،لبنان ،ط1،1991ص144.

إذا لطالما كانت المرأة ذلك اللغز الجميل الذي هام به وبسحره الكثير،وافتتن بجماله الأدباء،وقديما قيل إن الهوى يظهر جيد القول ويبدي المستتر الكامن،وقد قال الفلاسفة الأقدمون : "إن النفس البشرية خلقت من عنصر الحسن وجبلت من فن الجمال وفي هذا الكلام شيء من الحق غير قليل،وإلا فبماذا تفسرون هاته اللذة السامية التي تشعر بها النفوس جميعا كلما شاهدت مرأى جميلا من مرائي هذا الكون البهيج؟وبماذا تفسرون هذا الشغف بالجمال الذي يصبح في بعض النفوس تعطشا دائما و حنينا لا يرتوي"[4] ، وقد بدا واضحا أن هذا التعطش للجمال والحنين الدائم يترجمه من الناحية الجمالية الغزل حيث هذا الغرض هو صورة معربة عن إحساس العربي بالجمال وتفوقه في تحديد ملامحه وأي جمال أروع وأشد نظارة من الجمال البشري هذا الجمال البشري الذي أفرد له الشعراء القدامى حيزا بارزا في شعرهم وأدركوا بحسهم الفني مكانة المرأة ودورها في أشعارهم وعدّوها عاملا رئيسيا لجلب انتباه المتلقي.

قد أكد "ابن قتيبة" أن الله قد جعل في تركيب العباد محبة النساء في قوله :"وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار،فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم واصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب،ويصرف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء،فليس يكاد يخلو أحد منه من أن يكون

[4] أبو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،دار الحكمة،العلمة،الجزائر،ط1،2013،ص38.

متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلالا أو حراما "[5]. من حديث "ابن قتيبة" يظهر لنا أن الغزل قريب من النفس البشرية وأن هذا القرب يدخل في التركيبة البشرية التي جعلها الله في عباده لذلك فإن الكل ضارب فيه بسهم من قريب أو من بعيد قليلا كان أو كثيرا،فتواجدت صورة المرأة في الشعر العربي قديما وتواجدت كذلك في الشعر الحديث والمعاصر إلا أن الرؤيا اختلفت فالشاعر العربي القديم له رؤيته وللشاعر الحديث والمعاصر رؤيته،ولكل طريقته في التعبير عن صورة المرأة المثال بملامحها الجسدية والمعنوية.

[5] ابن قتيبة ،الشعر والشعراء ،تحق احمد محمد شاكر،دار الحديث،القاهرة،ط1،2006،ص76

الفصل الأول

صورة المرأة في الشعر العربي

أولا- صورة المرأة في الموروث الشعري القديم

1- الصورة المادية

2- الصورة المعنوية

ثانيا- صورة المرأة في الشعر المعاصر

1 - صورة المرأة عند نزار قباني

2 - صورة المرأة عند محمود درويش

أولا-صورة المرأة في الموروث الشعري القديم

1- الصورة المادية

إن الحديث عن الجسد يقودنا إلى البحث عن مواطن الجمال فيه، والجمال ليس موضوعا حديثا بل قديم قدم الإنسان،وقد برز الجمال كأحد المواضيع الهامة التي تطرق إليها الإنسان وحاول إدراكها،وقد قال أفلاطون "إن إدراك الجمال على مرحلتين.

الأولى: مرحلة الحس: ويصل إليها المعجبون عن طريق النظر والسمع وهؤلاء هم الغالب في كل أمة،فيعجبون بالإشكال والصور والألوان والأصوات وكل ما دخل في تركيبه هذه الأشياء .

الثانية :مرحلة إدراك: كنه الجمال فسماها أفلاطون بمرحلة المعرفة لما فيها من إدراك للحقيقة"[1] مما يدل على اتفاق الناس في حب الجمال من حيث المبدأ ويبقى الاختلاف نسبي كل بحسب رؤيته،وتفكيره،وثقافته،وحضارته ولا أدل على الجمال البشري هذا الأخير الذي خاض فيه شعراؤنا القدامى فتغنوا بالمرأة وافتتنوا بها لما في "قوام المرأة من الجمال ما يغري ومن الحسن ما يفتن وإدراك ما في قوام المرأة من جمال لا يكلف الرجل العربي الكثير لأن المرأة مهما حرصت على إخفاء مفاتنها ومداراة جمالها فإنها لا تستطيع أن تخفي ذلك في قوامها "[2]،وقد بات جليا أن المرأة لن تستطيع إخفاء جمال قوامها وإن حرصت على ذلك مما يسمح للشاعر ويتيح له التغني بهذا القوام ومن هذا المنطلق المادي يرى عز الدين إسماعيل"أن العربي لم يفكر في الجمال وإن انفعل

[1] سلمان مهنا،صورة المرأة في شعر صعاليك الجاهلية والإسلام،رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية ،غزة،فلسطين،كلية الآداب،2007،ص87

[2] خليل محمود عودة،صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة،دار الكتب العلمية،لبنان،ط1،1998،ص107

بصوره بخاصة ما استقبل بالعين فكان رائقا أو بالفم فكان لذيذا أو باليد فكان ناعما "[1] وهذه الصورة قد جسدها لنا الشاعر العربي قديما حيث"تتجلى تلك الصورة الجسدية في الغزل الذي يقف فيه الشعراء عند الشكل الخارجي لمحبوباتهم فيصفونهن ويتحدثون عن مفاتنهن الجسدية ويستقصون كل هذه المفاتن بالقدر الذي يستطيعون،وقد أكثر الشعر العربي القديم من هذه الأوصاف الجسدية"[2] .

نعم لقد أكثر الشاعر العربي القديم من ذكره لصورة المرأة وتغنى بمفاتنها "لكن لا تستعجلوا كثيرا فتحسبوا أنهم أجلوا المرأة ونظروا لها نظرة سامية فيها طهر العبادة ومعنى التقديس والإجلال كما كان ينظر قدماء اليونان إلى آلهة الشعر حينما يناجونها مستهل القصائد كلا !فإن شيئا من هذا لم يكن لأن الشاعر العربي ما كان يبوئ المنزلة السامية وذلك المقام الجميل إلا ليتحدث عن ملهاته الساحرة التي ألفى عندها متعة الجسد ومنهل الشهوات ...أو لكي يفاخر رفاقه من أبناء البادية بأنه قدير على تصبي قلوب النساء و العبث ليس غير !"[3] ويبدو أن هناك من يتفق مع هذا القول ويذهب مذهبه حيث يرى الدكتور "عبد الملك مرتاض" أن"الشاعر لا يعنيه من هذه المرأة لا عقلها ولا حسبها ولا نسبها ولكن الذي يعنيه فقط هو طلب التمتع بجسمها وجمالها،فهو ينساق وراء لذته في هذه الأبيات التي تمثل عهدا بحق فلا ينظر إلى المرأة إلا على أنها جسم جميل يستمتع به ما استطاع ولا يفكر فيما وراء ذلك الجسد من شيء"[4]

[1] يحي عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،مصر، ط1،2002 ،ص13

[2] عاطفة فيصل،صورة المرأة بين الشعر التقليدي والشعر الحديث في سوريا،رسالة ماجستير،جامعة دمشق،كلية الآداب،1975،ص57

[3] أبو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،ص40

[4] عبد الملك مرتاض ،مائة قضية وقضية،دار هومة،الجزائر،(د ط)،(د س)،ص142

إذا فالشاعر الجاهلي كان يلهث وراء متعته وهو بارع بما يلبي رغبته وهذا ما أكد عليه أبو القاسم الشابي حينما قال:"الشاعر العربي لا يتكلم على ما وراء جسد المرأة من تلك المعاني العميقة السامية لكنه مجيد إذا أراد أن يتحدث عن قدها الأهيف الممشوق وعن طرفها اللامع الوسنان وعن وجهها المتورد المنظور وعما إلى ذلك من تلك الأوصاف المادية أمام كل رائح وغاد والتي يحس بها كل الناس إحساسا متوازيا لا يظهر معه مزية للشاعر على غيره إلا في رصانة التعبير،وجمال الديباجة،وخلابة الأسلوب"[1].

من خلال هذه الأقوال يظهر لنا جليا أن النظرة موحدة في رؤية الشاعر العربي للمرأة على أنها كانت للذة والمتعة لا أكثر،لكن هذه النظرة "لا ترفع من مكانة المرأة الجاهلية بقدر ما تحط منها في رأينا لأن المرأة ليست جسما فقط ولكنها جسم وروح وعقل ووجدان فتقاسم الرجل الحياة وتعينه في التغلب على تكاليفها"والمرأة في إطار ما ذكرناه تمثال يجسد الجمال المادي أكثر منه كائنا إنسانيا نحس بعطفه وحنانه وميله و"لعل امرأ القيس كان المثال الأول الذي احتذاه سائر شعراء هذا العصر فأقام كل من هؤلاء تمثالا للمرأة التي يعجب بها على نحو قريب مما رسمته شاعرية الملك الظليل فلا تباعد في هياكل هذه التماثيل جميعا وإن اختلفت في خطوطها وألوانها،وأبعادها أو تباينت في قسماتها وتفاوت وصفها"[2] فقد رسم امرؤ القيس تلك المعالم الأولى التي اهتدى في ضوئها الشعراء بعده وساروا على خطاه وإن اختلفوا في بعض التفاصيل "

[1] أبو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،ص42

[2] عمر فاروق الطباع،مواقف في الأدب الأموي،ص145

ولا تحسبوني مغاليا ،أو مغرقا فإن الشعر العربي بين أيدينا شاهد على ما أقول،وهاكم امرأ القيس فهو يقول:

ويـا رب ليلٍ قد لهْوتُ وليلةٍ***بآنسةٍ كأنها خـطُ تمْثـال

ويقول:

كَـأَنِّي لم أُرْكَبْ جوادا للذَّةٍ ***ولم أَتبطَّنْ كَاعبا ذاتَ خلْخَال

ويقول:

مُـهَفْهَفَـةٌ بيضَاء غيرَ مَفاضَةٍ*** ترَائبهُا مَصْقولةٌ كالسَّجْنَجَـل

تصدُّوتُ بدي عن أَسيلٍ وَتتَّقي*** بِناظِرةٍ من وحشٍ جَوَرُّ مطْفل

وجيدٍ كجيدِ الريمِ ليس بفاحِش***إذا هَي نَصَّته ولا بمُعطَّـــل

وفـــرعٍ يزيُن المْتنَ أسْوَد فاحِم ***أثيثٍ كقِنْوِ النخْلة المتَعثكِـل[1]

إذا لاحظنا هذه الأبيات فإن امرأ القيس لم يزد على أن جعل المرأة مجرد متعة ولهو لا أكثر"ويصف الخطوط الأساسية في هيكل المرأة ،فهي بيضاء اللون،نحيلة الخصر،مصقولة أعلى الصدر كالمرآة ذات خد أسيل ،وعينين واسعتين كعيون المها ،وجيد معتد كجيد الظباء وشعر أسود فاحم حالك كثيف كقنو النخلة "[2] وحين نقرأ مطلع قصيدة طرفة ابن العبد لا نجده يختلف كثيرا عن امرئ القيس في وصف جمال المرأة،فهو وصف جسدي يقصد منه تقديم أجمل صورة لجسمها يقول:

ولولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشَة الفَتَى *** جَودِّكَ لم أحْفَلْ متَى قَامَ عُّودي

فَمِنْهُنَّ سَبْقُ العَاذلاتِ بشَرْبةٍ ***كُميتٍ متَى ما تُعْلَ بالماء تُزبِـد

[1] أبو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،ص44

[2] المرجع نفسه،ص44

وَكَيِّي إذا نَادى المضَافُ مُجَّباً ***كسيدِ الغضَـا نَبَّهتهَ المُـتَوِّدِ

وَتقْصير يُوَمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ***بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرافِ المُمَدَّد[1]

نجد أن طرفة "يصف المرأة بالخلقة الضخمة،حتى كأنها الشجرة السامقة الممتدة الضلال،وشبه خلاخيل هذه المرأة التي تحلت بها كالعشر أي الشجرة الكبيرة المستوية،فهذه المرأة كأنها شجرة لملاسة أطرافها ولكن لضخامة أطرافها خصوصا"[2] وإذا تأملنا ما قاله طرفة نجده لم يسمعنا خيرا مما أسمعنا امرؤ القيس ولا يخرج عما تعودنا قراءته عند امرئ القيس ،وهذا التشبيه المنتزع من البيئة البدوية التي يعيش فيها الشاعر ،فقد وصف عنقها بعنق الربرب أي الغزال والشادن إلى آخره...وإذا أخذنا عينة أخرى من الشعر الجاهلي كالأعشى وعنترة فإننا لا نبتعد كثيرا عن طرفة وامرئ القيس.

يقول الأعشى:

غَرَّاءُ فُرعاءُ مَصْقولٌ عَوارِضُها ***تَمْشي الهُوَينَى كَما يَمْشي الوَجِي الوَجِل

كَأَنَّ مِشْيَتَها مِن بَيْتِ جَآلَةٍ*** مُرُّ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَل

كَأَنَّ أَهْوَلَ مِنْ فُرْعٍ مَرافِقُها ***كَأَنَّ أُخْمُصَها بِالشَّوكِ مُنْتَعِل[3]

ويقول عنترة:

إذا تَسْتَبِيكَ بِنِي غُرُوبٍ واضِحٍ *** عذبٌ مُقَبَّلُه لَذِيذُ المَطْعَم (...)

[1] الزوزني،شرح المعلقات السبع بيت الحكمة،العلمة،الجزائرن،ط1،2010،ص68

[2] عبد الملك مرتاض،مائة قضية وقضية،ص145

[3] عبد الرحمان المصطفاوي،ديوان الأعشى الأكبر،دار المعرفة،بيروت،لبنان،ط2005،1،ص147

كأنمـــا التفت بجيد حـــداية *** رشـــإٍ من الغِلْإن حرٍّ أُرْثَمِ [1]

فهذه المرأة لا تختلف عن أي امرأة أخرى في المعلقات ،فالشاعر يصفها بأنها تسبي الرجال وتسحرهم بثغر جميل وأسنان نقية بيضاء ،ثم يصف جيدها بأنه يشبه جيد الغزال[2] وعلى مثل هذه الطريقة يذهب النابغة ،ولبيد ، وعمر بن كلثوم وغيرهم من شعراء الجاهلية لا يختلفون إلا في كيفية التعبير عن هاته المعاني وربما اتفقوا فيها في بعض الأحيان،أما اذا نظرنا الى الصورة العامة عند شعراء صدر الإسلام وجدناها شديدة القرب من صورتها عند شعراء العصر الجاهلي حيث" يقدمون المرأة المثال أو النموذج الأفضل للمرأة مقرنين ذلك بأثر هذا النموذج على النفس حيث نراهم يتحدثون عن جمال جسمها وبضاضته،وجمال العيون ،والوجه والشعر ،والساقين،والأطراف،والجيد،والفم.

فهذا سحيم يقول:

وجيدٍ كجيدِ الرئمِ ليسَ بِعاطلٍ***من الدُّرِ والياقَوتِ والشذرِ حاليا

كأنَّ الثُّريا عَلقَتْ فوَقَنَحْرِها***وجَمرٍ غَضَى هبَّتْ له ُالريحِ ذاكيا[3]

فالشاعر سحيم لم يزد شيئا على سابقيه فهو يصف الجيد ويصف النحر وكذلك الضحكة،وهذا كعب بن زهير "وهو يهدر قصيدته التي يتغزل فيها بسعاد...ويصفها بما لو ألقي عليك مثله لتورعت عن سماعه وتصامت عنه وحسبت التقى يمنعك منه وذهبت تلوم عليه

وما سُعادُ غَدَاةَ البينِ إذْ رزتْ***إلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُـــول

[1] أبو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،ص47

[2] عبد الملك مرتاض،مائة قضية وقضية،ص145

[3] حسن عبد الجليل يوسف،المرأة عند شعراء صدر الإسلام دار السلام للطباعة والنشر2006،ط1،ص34

تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظُلُم إذا ابْتَسَمتْ ***كَأَنَّهَا مَنْهَل بِالراحِ مَعْلُـــول

هَيْفَـــــاءُ مُقْبِلَةٌ عَجْزاءُ مُدْبِرَةٌ***لا يشْتَكَى قِـــصَرٌ مِـ نهلاَوَطُول[1]

وعلى مثل هذا ذهب حسان بن ثابت وهو من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول:

دِيارَ التِيالقَى الفُؤَادَ دَلالها***وَعَزَّ عَلَينا أَنْ تَجُود بِنائِـــل

لها عينٌ كَحْلاءُ المدامعِ مطفل***تُراعي نَعَامًا يرتَعِي بالخَمَائل

فالمرأة المحبوبة يروق دلالها فؤاد الشاعر،ويشق على نفسه أن لا تجود بنائل ،أما عيونها فإنها كعيون الغزالة كحلاء لها طفل تنظر إليه حانية راغبة"[2] وعلى هذا المنوال سار الحطيئة ولبيد لا يختلفون كثيرا إلا في طريقة التعبير كما ذكرنا سابقا وكذلك غيرهم من الشعراء. ولعل الناظر في الأدب الأموي يظن أنه يجد غير ما وجد عند الشعراء في العصر الجاهلي أو صدر الإسلام بل ربما يكون " أكثر خطورة وإذن فلنستمع إلى عمر ابن أبي ربيعة ومن معه لننظر هل من فارق بينهم وبين من قبلهم.

يقول عمر ابن أبي ربيعة:

خُودٌ تُضيء ظَلاَم البَيْتِ صُـ تُرِل***كَما يضُيء ظَلاَم الحْنُدُسِ القَـمُر

مَجْـدولةُ الخلَقِ لم توُضَعْ مناَكبِـُها ***مِلْء العِناَقِ أَلوفٌ جَيبهُا عطـُـر

مَمْكُورةُ السَّاقِ،مَقْومٌ خَلاخِلُها ***فُمشْبِعٍ نشبٌ مِنْها ومنكســـــُـر

هَيفاء لُفَّاءُ مُصْقُولٌ عَوارِضُهـــا ***تكَادُ من ثَقَلِ الأَرْدَافِ تَنْبتَِـــــُر[3]

[1] على الطنطاوي،فكر ومباحث،ص41

[2] حسن عبد الجليل يوسف،المرأة عند شعراء صدر الإسلام،ص32

[3] أبو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،ص50

فهو لم يخالف من قبله من الشعراء كعب بن زهير وطرفة ابن العبد ولا امرؤ القيس في صغيرة ولا كبيرة رغم الفارق الزمني الذي يفصل بينهم "بل ماذا يكون قولكم لو انتقلنا إلى العصر العباسي فإذا هو كالعصر الأموي والجاهلي دون أي تفاوت أو اختلاف ...أليست المرأة التي يتكلم عنها امرؤ القيس وطرفة وابن أبي ربيعة هي المرأة التي يتكلم عنها البحتري وأبو تمام وغيرهم والحديث عين الحديث إلا رقة في المعنى وطلاوة في اللفظ وتنميقا في العبارة خلا منها الأدب الأموي والجاهلي قبله،وقضت بها المدينة العباسية من بعد"[1] وعلى هذا فإن المرأة لم تحظ بنصيب من الخيال الشعري بقدر ما حظيت بتلك النظرة المادية المحضة التي لا عمق فيها سواء في جميع العصور.

[1] أبو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،ص51

2- الصورة المعنوية

إذا كان الشعراء القدامى قد احتفوا بمظاهر الجمال الجسدي للمرأة،وأشادوا بمفاتنها فإن جمال الروح لا يجب أن يغفل لأن الجسد لا ينفك يفارق الروح،والمرأة لا تخلو من المزايا الخلقية وجمال النفس،ورغم أن هناك من قال"لم يعرف العرب ولا الشاعر تلك النظرة الفنية التي تعد المرأة كقطعة فنية من فنون السماء يلتمس لديها من الوحي والإلهام ما تضن به ينابيع الوجود ..ولم يحاول الشاعر العربي أن يحس بما وراء الجسد من روح جميلة ساحرة تحمل بين جنبيها سعادة الحب ومعنى الأمومة،وهما أقد س ما في الوجود،ولا بذلك القلب النقي الذي يزخر بأسمى عواطف الحياة،وأجمل أحلام هذا العالم الكبير"[1]ربما يكون الشاعر العربي قد قصر في نظرته للمرأة،وضيقّها في تلك النظرة المادية،لكن هذا لا يعني أن الحديث عن تلك الصفات الروحية في الشعر العربي منعدم تماما،فهو وإن كان قليلا فإن هناك من أشار إليه،وكما هو معلوم أن "مما يميز الفتاة العربية حياؤها وعفتها وتمنعها وعدم ابتذالها وهذه الصفات هي عدة الفتاة وسلاحها في الحياة،وهي سمات حرصت عليها بنات العرب...لذلك نجد بعض الشعراء إذا أراد مدح فتاة سارع إلى مدحها بهذه الصفات التي تعتبر أفضل ما تمدح به امرأة.

يقول السليك:

لَعَمْر أَبيكَ والأَنْباءِ نَمـــى***لَنِعْمَ الجارُ أُخْتِنِي عَوارا

[1] أبو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،ص40

مِن الخِفَراتِ لم تَفْضحْ أَباهـا***ولم ترَفْع لإخْوتِها شَنَـــارا[1]

فهذه الصفات أحبها الشاعر و أجلها في المرأة حيث يصفها بأنها لا تفضح أباها ولا إخوتها وتحافظ على شرفها وقد نجد شاعرا آخر يصف المرأة وصفا معنويا بديعا يصور فيه حياء زوجته وعفتها،وكرمها يقول الشنفرى:

"لقدْ أَعْجَبْتَني لا سَقُوطٌ لِقِيُّها*** إذا مَشَتْ ولا بِذَاتِ تَلَفُّتِ

تَحِـلُّ بِجْاةٍ عَن اللَّوِمِ بَيْتُـها***إذا ما بيُـوتٌ بالمـذَمةِ حلّتِ

كأنّ لها في الأرضِ نسياً تُقصُّه ***على أُمِّها وإنْ تُحَدِّثكَ تَبلَتِ

أميمه لا يُخْزي نَثَاها حَليلُهـا*** إذا ذُكَر النِّسوانُ عَفّتْ وَجلّتِ

إن زوجة الشنفرى كما يراها هو امرأة كريمة،عفيفة،بعيدة عن الريبة شديدة الحياء كما أنها لا تكثر التلفت تهدي لجاراتها في وقت يعم فيه الجدب ويقل فيه الطعام ،تمشي بحياء فلا تكاد ترفع رأسها..."[2]وإذا عدنا إلى السليك نجده "يضع لنفسه شعارا ينبئ عن العفة المترفعة لغير النوارا وهي المرأة النفور من الريبة يقول:

يعَافُ وصالَ ذاتِ البينِ قَلْبي***وَتبُع المَمُنَّعة النّـــوارا

[1] احمد سلمان مهنا،المرأة في شعر صعاليك الجاهلية والإسلام،ص82

[2] احمد سلمان مهنا،المرأة في شعر صعاليك الجاهلية والإسلام،ص109

فالشاعر هنا يكشف عن نوع المرأة التي تستهوي نفسه وتميل إليها جوارحه،فهي امرأة شريفة عفيفة تنفر من الشر والقبيح وتتمنع إتيان الفاحشة"[1]والظاهر إن التمنع والتعفف صفة من الصفات المرأة العربية التي تحرص عليها كثيرا ويحرص عليها الشاعر الجاهلي كذلك والمرأة إذا بالغت في دلالها وأمعنت في تمنعها قد تجعل المحب العاشق لها يصرخ صرخات عالية ألما وحرقة على فراقها.

يقول قيس بن الحدادية:

وبدَّلْتُ من جَدْواك يا أُمَّ مالكِ ***طَواقٍ هَمِّيَحْتَضَّن وِسَادِيا

فلاُ مدْركًا حظًا لَدى أم مالكِ ***ولاُ مسْتَرِيحاً في الحَيِّ فَقَاضِيا

وإنَّ الذي أُملَتْ من أُمِّ مالكٍ ***أَشابَ قَذَالِي واسْتَهَامَ فؤُادي

شَكَوْتُ إلى الرَّحْمانِ بعَدَ مَ هَلَلا*** وما لَحْتَني وانقِطَاعِ جَوَائِيا

إن التمنع والتعفف يجعل الشاعر يظهر في صورة المحب الولهان اللاهث خلفها والمتمني قربها الطامع في رضاها والطالب لوصلها "[2] لكن ورغم هذه الصفات المعنوية من عفة وتمنع وحياء وكرم والبعد عن الريبة فإن هناك من يرى الجمال المعنوي كما تحدث عنه ثاغور"أمسكت يدها وضممتها إلى صدري وحاولت أن أملأ بحسنها ذراعي أنتهب بقلبي ابتسامتها العذبة وأن أرتشف بعيني وميض أجفانها ولكن أواه !أين هي؟من يستطيع أن يسلب من السماء زرقتها؟حاولت

[1] عبد العزيز بزيان،صورة المرأة في شعر صعاليك العصر الجاهلي،رسالة ماجستير،جامعة منتوري،كلية الآداب،قسنطينة،2012،ص60

[2] احمد سلمان مهنا،صورة المرأة شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام،ص87

أن أقبض على الجمال ولكنه غادرني غير تارك بين يدي سوى الجسد فانثنيت كاسف النفس كليلها،كيف يلمس الزهرة التي لا يقدر على لمسها غير الروح؟"[1]من هنا ومن هذا القول يرى البعض أن الشاعر العربي لا يستطيع أن يتكلم بهذا الكلام وتبقى نظرته بسيطة إلا القليل "كابن الرومي" حين يقول:

ليتَ شِعْري إذا أَدامإِلي***كرة الطرف مُبْدئٌ وُمعيـــــــــدُ

أهَي شَيء لاَ تُلِمُ الَعْيْنُ منه***أم لها في كلّ ساعـــةٍ تجديدُ

بل هي العيش لا يزال متى استحـ دث يبدي غرائبا ويفيـــــــــد"[2].

وإن تكلم ابن الرومي عن المرأة متجاوزا الجسد إلى تلك المعاني العميقة السامية لكن يبقى ذلك شيئ نادر لا يقاس عليه ،ولا نستطيع تعميمه.

[1] أبو القاسم الشابي ،الخيال الشعري عند العرب،ص41

[2] أبو القاسم الشابي ،الخيال الشعري عند العرب،ص41

ثانيا-صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر

بدأت حركة التحرر العربية تشق طريقها بخطوات متسارعة،ترافق ذلك مع الوعي و ضرورة التغيير،وفي خضم حركة التحرر أخذت المرأة موقعا مهما من حيث إعادة النظر في دورها في المجتمع والمساحة التي أتيحت لها"وعلى اعتبار أن الشعر من اعرق الفنون عند العرب فقد شكل ساحة لصراع الأفكار والاحتمالات التي برزت على المسرح السياسي العربي وبدأت المرأة في هذه المرحلة الشعرية تدخل بحلة جديدة مختلفة عن تلك الصورة التقليدية التي أخذتها في الشعر العربي،وكان العنوان العريض لهذه الصورة هو الحرية،حرية المرأة.فهل كان المضمون مماثلا للعنوان"[1]

ولعل الشاعر نزار قباني أول من كسر الطوق المفروض على المرأة ،ودافع عن حقها في التعبير عن مشاعرها وحاجاتها.

1-المرأة عند نزار

يعد نزار قباني من أكثر الشعراء في العصر الحديث الذين أنتجوا بغزارة بالنظر إلى ما خلفه لجمهوره وعشاق شعره،منها ما هو لقضايا الوطن ،والغالبية للمرأة والغزل والدعوة إلى التحرر والانعتاق،يقول نزار في أحد أحاديثه:"قد تكون قصائدي غيرت شيئا في بنية المجتمع العربي ونسيجه،وقد تكون ساعدت المرأة في التخلص من ضعفها ودونيتها، ودكتاتورية الذكور

[1] عمار عكاش،صورة المرأة في الشعر المعاصر،www.alhewar.org 2015.02.06،9:53

فإذا اعترفت المرأة بما فعلته من أجلها فشكرا لها...وإذا لم تعترف فشكرا لها أيضا"[1].

لقد جعل نزار قباني المرأة موضوعا لكتابته، تحفزه دون سائر الموضوعات ورسم لها صورة بكلماته"فلماذا المرأة إذا في شعره؟ يتساءل نزار قباني بدوره:لماذا اخترت المرأة دون غيرها من الكائنات الجميلة دفترا أكتب عليه أشعاري؟لماذا أكتب عن المرأة؟"[2]من خلال هذه التساؤلات التي يطرحها نزار يبدو أنه يدرك مدى صعوبة اختيار المرأة كموضوع رئيسي للكتابة لكنه ورغم هذه التساؤلات التي تطرح عليه ويطرحها هو على نفسه"فإنه يجيب بسؤال:ولماذا أكتب عنها؟"[3] ليبقى السؤال مطروحا عن تلك العلاقة بين المرأة والشعر وهل يكملان بعضهما؟ وكما عرفنا فإن نزار قباني شاعر المرأة بامتياز وبلا منازع ،وليس هناك شاعر تناول حواء من جميع زواياها وأبعادها وبأدق تفاصيلها كما فعل هو،كيف لا وهي التي أعطت شعره ذلك التوهج،وكانت مادته الأولية للإبداع"ولكن هل كانت قصائد نزار على هذا المستوى من التأثير والفاعلية؟ أم شغل بها جسدا ونوازع جنسية وتغافل عن الفكر والروح؟ ومن هي المرأة التي احتلت قصائده أهي الزوجة أم الأم أم الحبيبة أم المعشوقة العابرة".[4]

إذا فالمرأة أعطت شعر نزار حضورا كبيرا وكانت تلك السحابة التي تنشر ظلالها عليه ولا شك أن"المرأة في شعر نزار هي الأم والأخت ،والحبيبة،والعشيقة..هي الدم الذي يجري في الشرايين والتي تنساب على الضلوع لتشكل قصيدا يحرك سواكن الشباب ،والكهول،وحتى

[1] صلاح الدين الهواري،المرأة في شعر نزار قباني،دار البحار،بيروت،لبنان،(دط)،2008،ص43

[2] احمد حيدوش،شعرية المرأة وأنوثة القصيدة،منشورات اتحاد الكتاب،دمشق،(دط)2001،ص87

[3] احمد حيدوش،شعرية المرأة وأنوثة القصيدة ،ص88

[4] صلاح الدين الهواري،المرأة في شعر نزار قباني،ص43

الشيوخ. المرأة في شعر نزار هي حواء،النصف الثاني للإنسان..هي الحب..واللذة المشتهاة زمن الراحة،واللهو والطرب..المرأة في شعر نزار هي قضية ورسالة ووعي بكائن بشري مظلوم على امتداد تاريخ الكون...المرأة هي الوطن والحرية،والديمقراطية..هي السياسة.كيف ذلك ياترى؟"[1]فهو يحاول تحرير المرأة ويظهر ذلك في مؤلفاته جليا، وأول ما يثير الاهتمام في شعر نزار علاقته بأمه التي غمرته بحنانها طفلا،وشابا،وقد حاول أن يجمع بين شخصية أمه والحبيبة في آن واحد.

أ-الأم في شعر نزار

قدم نزار قباني لجمهور الشعر وعشاقه انطباعه في سيرته الذاتية عن أمه حين قال:"أما أمي فكانت ينبوع عاطفة بغير حساب،تعتبرني ولدها المفضل ،وتخصني دون سائر إخوتي في الطيبات (...) ظلت ترضعني حتى سن السابعة وتطعمني بيدها حتى سن الثالثة عشرة والذي أكده عندما سئل مرة عن أول سيدة في حياته قال:أمي كانت ولا زالت هي السيدة الأولى في حياتي.هذا الانطباع لا شك في أنه قد وجه شعره منذ أن نشر باكورة أعماله إلى آخر ديوان صدر في حياته ولقد ضلت الأم رفيقة مساره الشعري ،والنثري،والإعلامي"[2] وقد أكد الدارسون أن الأم لم تشغل ذلك الحيز الكبير الذي شغلته العاشقة ،ولكن الأم هي تلك التي تحكم علاقته بالنساء حين قال "يصرح بأن علاقته بالنساء كانت محكومة بأمه التي غمرته بحنانها طفلا ،وشابا ويرى بأن فشله في الكثير من علاقاته العاطفية كان يعود بالدرجة الأولى إلى رفض المرأة المحبوبة بأن تجمع

[1] التهامي الهاني،الوطن والمرأة في شعر نزار قباني،صامد للنشر و التوزيع،ط2،2006،ص75

[2] احمد حيدوش،شعرية المرأة وأنوثة القصيدة،ص93

في شخصها بين الأم والحبيبة في آن واحد"[1] وما يؤكد لنا أن نزار لم يكبر لأنه لم يجد المرأة التي تعامله معاملة أمه له،في لطفها.فهو حين يقول:

أنا شاعر لا يزال على شفته حليب الطفولة

وفي قصيدة تحت عنوان"القصيدة تولد من أصابعها"إشارة إلى أن المرأة التي تشاركه القصيدة هي أمه ،وأن حليبها هو الحبر الذي يكتب به،وأن ثديها هو الذي علمه صناعة النهد ورسمه لكنه رمز له بالفخار حيث قال:

حليب أمي..كان حبرا أبيضا

وثديها علمني صناعة الفخار"[2]

وقد بدت صورة أمه التي يراها مثالا للأم،ويراها معقلا للحركة الوطنية في الشام "فيسمو بحب أمه على حبهن جميعا حين يقول:

كل النساء اللواتي عرفتهن

أحببنني وهن صاحيات

وحدها أمي

أحبتني وهي سكرى

فالحب الحقيقي هو أن تسكر

[1] صلاح الدين الهواري،المرأة في شعر نزار قباني،ص45

[2] احمد حيدوش،شعرية المرأة وأنوثة القصيدة،ص94

ولا تعرف لماذا تسكر

ثم يتحدث عن أثر أمه في لغته الشعرية فيقول:

أمي متفشية في لغتي

كلما نسيت ورقة من أوراقي في صحن الدار

رشتها أمي بالماء مع بقية أحواض الزرع

فتحولت الألف إلى امرأة

والباء إلى بنفسجة

والدال إلى دالية

والسين إلى سوسنة،وسمكة،وسنونوة."[1]

إن أم نزار قباني(المرأة المثال)هي التي حبها لا يعادله حب الأخريات وهي التي أثرت في لغته،وحياته،فكانت هي المدينة العربية التي أنزلته من رحمها وهي الجزء المهم من الفلكلور الشامي،والجانب المشرق من التاريخ ومن الصعب أن تتكرر في الوجود ضمن النساء اللواتي عرفهن.ولذلك نزل عليه خبر وفاتها كالصاعقة عليه فكتب قصيدة بعنوان"أم المعتز".

يقول في مطلعها:

عندما كانت بيروت تموت بين ذراعي

كسمكة اخترقها رمح

جاءني هاتف من دمشق يقول

[1] صلاح الدين الهواري،شعرية المرأة وأنوثة القصيدة،ص94

"أمك ماتت"

لم استوعب الكلمات في البداية

لم استوعب كيف يمكن أن يموت السمك كله

في وقت واحد

كانت هناك مدينة حبيبة تموت..اسمها بيروت

وكانت هناك أم مدهشة تموت..اسمها فائزة"[1]

والملاحظ هنا أن نزار لم يهجر محبة أمه يوما ،فقد هاله خبر وفاتها وكأن كل شيء انتهى بموتها،فبيروت تموت وأمه التي غمرته بحبها وحنانها تموت أيضا.

ب- الحبيبة عند نزار قباني

كما نعلم فإن المرأة في شعر نزار قباني هي حواء وهي النصف الثاني،وهي الحب واللذة المشتهاة،"ومن معاني الحب لدى نزار:الغرام،والهيام،والعطف،والرأفة والحنان،والاعتراف بالجميل،المتعة بالمشهد الحسن،وأخيرا تحدث عن الحب..في الظاهر وفي العموم،اشتهر نزار بحبه للجنس الآخر،فهو عاشق للمرأة،ظل يتغنى بها على امتداد عمره،حتى تفاعل معه المجتمع العربي"[2]،والحقيقة أن نزار ظل يتغنى بالمرأة إلى أن أسس جمهورية النساء وهذا يبدو جليا من خلال إنتاجه الغزير في موضوع المرأة."والمرأة الحبيبة عند نزار يرى إنها قضاء وقدر،وهي تأتي كما تأتي ليلة

[1] صلاح الدين الهواري،المرأة في شعر نزار قباني،ص46.

[2] التهامي الهاني،الوطن والمرأة في شعر نزار قباني،ص79.

القدر،تأتي بالمضافة وتذهب بالمضافة ،فالمرأة الحبيبة عنده هي مصدر الإلهام،والجمال وحب الحياة،حتى يتخلص من كآبة الواقع،وملوحة الحقيقة وجهامة الزمن .

حيث قال في قصيدة أحبك:

أريد أن أحبك يا سيدتي

كي استعيد عافيتي

وعافيتي كلماتي

وأخرج من حرم التلوث

الذي يلف قلبي

فالأرض بدونك

كذبة كبيرة

وتفاحة فاسدة"[1]

فقد وجد الشاعر عافيته وعافية كلماته في المرأة المحبوبة ،وبدونها لا قيمة للعيش فوق هذه الأرض الكبيرة.ويسير نزار قباني على جادة شعراء التراث فيتوقف طويلا عند جسد المرأة ويمضي مركزا على مظاهر الجمال ومواطن الإثارة راسيا دائما في مرفأ النهدين وهو الذي أرضعته أمه سبع سنين"[2]صحيح ربما سار نزار على نهج القدماء في وصف الجسد لكنه هنا لم يعين امرأة إذ من العبث البحث عن امرأة بعينها في شعر نزار،فهو لم يلجأ يوما إلى تخليد واحدة

[1] محمد شهيد الإسلام،نزار قباني شاعر الحب والمرأة،www.acadimia.eduK25.12.2014.11h :00

[2] محمد العيد حمود،جدلية الحداثة والتراث في شعر نزار قباني،www.lebanese writery.orK25.12.2014.10 h:30

من نساء الواقع اللواتي عرفهن،والمرأة في شعره شأنها شأن المرأة التي نشاهدها في الحلم،فيها عناصر من مجموعة النساء ومن الصعب تحديد هويتها"[1] نفهم من هذا أن نزار يرى المرأة بوجه عام وليس امرأة معينة وتغنى بها في صور مختلفة،صغيرة،وكبيرة،سمراء وشقراء ذات العينين السوداوين أو الزرقاوين.

وذكر الباحث عبد الوهاب شتيوي أن نزار قباني لم يكتب عن امرأة واحدة كما هو الحال عند الشعراء السابقين الذين كانوا متفقين حول الصورة النموذجية للمرأة فنزار يقول:اعترف بتعددية النساء في شعري ،ولكن من أجل الفن لا بدافع الشهريارية،فأنا بطبيعتي كرجل أركز على امرأة واحدة وأحب السكون إلى امرأة واحدة أما بطبيعتي كفنان فإنني أطمح تصوير كل نساء العالم"[2].

رغم تعدد النساء في شعر نزار فقد كانت نظرته في بداية شعره"مجرد جسم مليء بالرغبات الجنسية،تأمل جسدها ومكامن جماله،وصور رغباته في شكل شهوات حسية عارمة وخاصة في مجموعة"قالت لي السمراء"التي أثارت حفيظة الناس ولا سيما في قصيدة نهداك"[3]،ولعل نزار قباني أول من كسر الطوق المفروض على المرأة وكسر النموذج الموحد لصورة المرأة،ورغم أنه قدم إدانة لذكورية المجتمع العربي دفاعا عن حق المرأة في التعبير عن مشاعرها وحاجاتها،فهو إذا"يلبس طربوش المخلص المنقذ،ولم ينس أن يفصل من جلد النساء عباءة ويبني من حلمات نهودهن أهراما

[1] احمد حيدوش،شعرية المرأة وأنوثة القصيدة،ص103

[2] جهاد فاضل،نساء نزار قباني،55: www.alriyadh.com.26.12.2014.9h

[3] جهاد فاضل،نساء نزار قباني،55: www.alriyadh.com.26.12.2014.9h

يقول:

فصلت من جلد النساء عباءة

وبنيت أهراما من الحلمات"[1]

وقد تذهب به الجرأة في التعبير ويدخل إلى خبايا ضمير المرأة الأنثوي،وينطقها بما لم تقله،حين يقول:

لِم أَنا صَدْري يكْبُر؟

لِمْن كَرزاتُه دارتْ

لِمنْ تُفَّاحه أَهْر

لِمْن قَدَحانِ مِن ذَهبٍ

وليسَ هناكَ مَنْ يسْكَرْ

لِمْن شَفةٌ منادية

تَجَمَّدَ فْوقها السُّكْر"[2]

وربما هذا ما كان يتمناه نزار قباني ،بأن تنطق به ويعلن عن رغبته بالتلذذ وسماع المرأة تهتف بما يريد هو،وهناك من يرى"أنه مهما كانت وطأة الحرمان شديدة على المرأة ،فإن إحساسها بجسدها الظمئ لا ينتهي بها إلى مثل هذا الموقف المستهجن والمشين في آن،فقد بدت كمن ينادي

[1] صلاح الدين الهواري،المرأة في شعر نزار قباني ،57

[2] صلاح الدين الهواري،المرأة في شعر نزار قباني،ص60

على بضاعته في سوق البوار،وليس فيه من يتذوق،أو يلبي النداء"[1]والمتتبع لهذه الأبيات يلحظ دعوة إلى كسر الحواجز بين الرجل والمرأة وإلا فكيف يمكننا أن نفسر هذه الصرخات الأنثوية التي تبرز فيها أنوثتها وتدعوه أي الرجل إلى هذا الجسد الذي استوى خلقا؟

ج_المرأة كقضية عند نزار

مرت صورة المرأة عند نزار قباني على عدة مراحل تحدث فيها أو في المرحلة الأولى في حياته الشعرية على المرأة،وكان يصفها وصفا حسيا،فنجده وصف قامتها،وخصرها ،ولباسها،ورسم وجهها وعينيها ونهديها وشعرها،وتغزل بالسمراء والبيضاء والشقراء،العربية والأجنبية ووصف الشابة والتلميذة والمراهقة،الشرسة والغاضبة والوديعة،لكنه في ذلك"لم يأبه بما يمكن أن يقال..نزار يصرح بكل فخر:

كَتْبَتُ تاريخَ الجمَيلاتِ على جَبيني

مِنْ يومِ كانتْ أُمنا حوَّاَ

كَتبتُ عنْ فاطمةَ

كتبتُعن راويةِ

كتبتُ عن هدْباءَ

فعَندماخَلْ ُ أي مَجلسٍ

[1] صلاح الدين الهواري،المرأة في شعر نزار قباني ص61

يقُالُ هذا صانُع النساءِ

يالها من تُـْهمةٍ جميلةٍ

أنْ يصُبَح الإنسانُ من عائلةِ الظباءِ"[1]

وهناك عدة مواضيع أخرى يؤكد فيها على ما ذكره ويتطرق إلى الوصف الجزئي والمفصل لكنه في المراحل الأخيرة من حياته ومن حياته الشعرية تدارك ما فاته،يقول:"في البداية كانت المرأة شغلي الشاغل بدون شك يعني من الأربعينيات حتى أواخر الستينيات،كانت المرأة أرضا أقاتل فوقها لم أتغزل بالمرأة كهيكل أو كوجه جميل أو كجسد جميل..تغزلت بالمرأة كقضية.."[2]فأثار نزار قباني قضية التمييز بين المرأة والرجل،وأثار مسألة الحرية ونادى بواجب كسر قيودها للتحرر"فنادى بواجب احترامها ككائن بشري وطالب المجتمع العربي بالمساواة بين الرجل والمرأة في المسائل العاطفية والوجدانية..وحتى يعبد الطريق لتحرير المرأة أعلن الثورة على العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية القديمة"[3]وفي مرحلة أخرى من مراحل شعره كانت للمرأة دلالة مجازية لبسط قضايا وطنية وإقليمية وقومية فالمرأة هي الثورة والحرية والديمقراطية وقضايا التخلف..

يقول نزار قباني:

سَأكْتبُ عن صَديقاتي

عن السجنِ الذي يَمْصُ أعْمارَ الَسجيناتِ

[1] التهامي الهاني،الوطن والمرأة في شعر نزار قباني،ص83

[2] التهامي الهاني،المرأة والوطن في شعر نزار قباني،ص82

[3] المرجع نفسه،ص90

عن الزمنِ الذي أكَلْته أعْمِدةُ المحلاتِ

عن الأبوابِ لا تفُتحْ

عن الرغباتِ وهَي بمهدِها تذْبُح

عن الحلَماتِ وهَي..تحتَ سريرِها تَنبُح..

عن الزنزانةِ الكُبْرى

وعن جُدْرانِها السُّودِ

وعن آلافِ..آلافِ الشَّهيداتِ

دُفّن بغيرِ أسْماءِ

بمقْبرِ َ التقاليد"[1]

فهو يحاول أن يدفع المرأة للتحرر العلني ويذكرها بوضعها الذي تعيشه ويمضي في تحريضها على الثورة على هذا الواقع السيء الذي تعيش فيه فيطالب بوجود امرأة تمتلك القدرة على الصراخ والجرأة على إعلان التمرد ولديها شجاعة كبيرة للمواجهة"ومن هنا كان لابد من العثور على امرأة من هذا الشرق تمتلك القدرة على الصراخ،تمتلك الجرأة على التحدث عن نفسها وعن جسدها دون أن تلطخها عقدة الذنب،وتذبحها فؤوس العشيرة،كان لابد من العثور على واحدة،امرأة واحدة تنتزع القفل الصدئ الموضوع على فمها،وترميه في وجه سجانها،كان لابد

[1] التهامي الهاني،المرأة والوطن في شعر نزار قباني ،ص91.

من امرأة فدائية تقبل بمحض إرادتها أن تمد جسدها وسمعتها جسرا عليه بنات جنسها إلى الضفة الأخرى من النهر،إلى ضفة الحرية..بحثت عنها هذه المرأة الشجاعة"[1]ففي الدعوة وضوح كبير من الشاعر نزار قباني يدعو فيه المرأة إلى التمتع بما يجب أن تكون عليه كامرأة أو كجنس بشري له دوره وله قيمته في المجتمع.

2- صورة المرأة عند محمود درويش

تحتل المرأة عند محمود درويش مساحة واسعة في خطابه الشعري،وهذا في الواقع ليس غريبا على مستوى الشعر العربي قديما وحديثا إذ تحتل المرأة مكانة متميزة في وجدان الشاعر العربي منذ امرئ القيس،أما عند محمود درويش فكثيرا ما تتحد المحبوبة والوطن ،فالحديث ظاهريا يتجه نحو المرأة لكن ما إن نتعمق الدلالة حتى نرسوا على قاعدة صلبة هي حب الوطن.و"إن المزج بين المرأة والوطن في شعر محمود درويش يمد تجاربه الفنية بنفس عاطفي،يولد تلك الرؤية الحية ،حيث تتحول القصيدة إلى ومضة حلم يتميز فيه الحب بالوطنية ويمتزج صورة الفتاة بالوطن،فلا يعود باستطاعة أحد أن يفرق بين عاطفة الحب نحو الفتاة أو الأم وبين عاطفة الحب نحو الأرض والوطن،يقول:

وطني ليسَ حقيبةً

وأنا لستُ مُسافرا

[1] التهامي الهاني،المرأة والوطن في شعر نزار قباني ،ص92.

إنَي العاشِقُ والأرضُ حبيبةٌ "[1]

فالمحبوبة في اغلب قصائده هي فلسطين،بالنسبة له هي أمه ومحبوبته وأخته وهي كل شيء في حياته لذلك لقب بمجنون التراب .شاعر الأرض المحتلة"إن عملية التمازج بين الوطن والمرأة هي ظاهرة بارزة عند الشعراء المحدثين،لكن محمود درويش عمق عملية التمازج،وبلغ ذروتها. ومن ذلك قوله:

الأرضُ أم أَنْتِ عِنْدي،أم أنْتُما تْوأمانِ

سيانَ سيانَ..عندي

إذا خسِرتُ الصديقةَ فقدتُ طعَم السنابلِ

وإنْ فَقَدْتُ الحديقةَ ضيَّعتُ عِطَر الجدائلِ

وضاعَ حلُم الحقيقةِ"[2]

الشاعر محمود درويش يرسم ملامح الوطن كما يرسم ملامح المرأة المحبوبة دون أن نشعر بمفارقة بينهما،"وعملية التمازج بين الأرض والمرأة ممتدة في التراث الإنساني لما بينهما من نقاط التقاء وتشابه فكلتاهما رمز للخصب والنماء، كما أنهما رمز للحياة وبينهما البدء الإنساني الذي يتم بالخروج من رحم المرأة،فإن المنتهى الإنساني يكون دخولا في رحم الأرض..وهما الوعاء

[1] محمد عبد الهادي،تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش،www.darwich foundatin.org.12.02.2015.10h55

[2] محمد صلاح ابو حميدة،المرأة في شعر محمود درويش،www.arabs48.com.10.02.2015.10h15

الذي تلقى فيه الطبيعة بذورها"[1]فالمرأة هنا عند درويش تحمل قيم الشرف والقداسة لذلك تمثل عنده الوطن يلجأ إليها عند شعوره بلوعة بالغياب والضياع وعدم القدرة على العودة، فهو لا يتورع في مخاطبة الأرض (الوطن) كما يخاطب المرأة المعشوقة،وتصبح المرأة قناعا يفرغ من خلاله كل مشاعر الشوق والحنين،والحب تجاه وطنه وأرضه.

إن فلسطين تحضر في شكل أنثى في شعر محمود درويش "وتعتبر قصيدة (إلى أمي) بالرغم من سهولة ألفاظها وبساطتها تحمل بعدا دلاليا وإنسانيا عميقا،ونعتقد أن محمود درويش استطاع في هذه القصيدة أن يحقق المعادلة الصعبة التي استعصت على العديد من الشعراء ،المعادلة المتمثلة في اقتران البساطة بالعمق ولا يستطيع ذلك إلا مبدع موهوب:

أَحِنُّ إلى خُبزِ أُمي

وقهوةِ أُمِّي

ولمسةِ أُمِّي

وتكَبر فُي الطفُولِة

يوًما على صَدْرِ أُمِّي"[2]

فالأم تمثل الحنين إلى الوطن،وأيام الطفولة والصبا،وهي رمز العطاء والحنان الفيّاض ،وهي كذلك تمثل في نظره الوطن المسلوب."وحبه للأرض يصل إلى حد التوحد الصوفي حيث يفنى المحبوب في محبوبته ويجد لذةً لا تنتهي في عذابه وموته

[1] محمد صلاح ابو حميدة،المرأة في شعر محمود درويش،www.arabs48.com.10.02.2015.10h40

[2] محمد عبد الهادي،تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش

يقول محمود درويش:

أموتُ/أُحِّبكِ

إنَّ ثَلاثةَ أَشْياء لَا تَنْتهَي

أنتِ والحُبُ والموتُ

فكُوني ْامرأةً /كوني َمدينةً

وهذا العشق الصوفي للوطن يتسم بالصدق والديمومة المستمرة"[1]،ومن هنا فقد تميز محمود درويش في إعطاء المرأة مكانة خاصة تسمو بها،وأخرجها من البعد الجسدي وجعلها رمزا للمقدس الذي هو الوطن،وكان هذا الحب أسمى أنواع العشق والحب"ربط فيه بين المرأة الرمز المتمثلة في الأرض والحرية أو الخصوبة أو الحنان أو العفة أو الثورة والصفات الحّسية والنفسية التي أسبغها الشاعر على محبوبته الأرض فنراه يقول:

فلسطينية العينين والوشم،فلسطينية الاسم

فلسطينية الأحلام والهم،فلسطينية المنديل والقدمين والجسم

فلسطينية الميلاد،والموت

حملتك في دفاتري القديمة

فلسطينية كانت ولم تزل."

[1] محمد صلاح أبو حميدة،المرأة في شعر محمود درويش،www.arabs48.com.10.02.2015.10h30

فقد كانت المرأة في شعر درويش تحضر بشكل مغاير للشعراء الذين تناولوا المرأة على أساس أنها أنثى تتجلى فيها صورة العاشقة الرفيقة،الناعمة ذات المواصفات والجمال،وكان الضوء مسلط على تلك المحاسن والجمال الطاهر،وظّف محمود درويش رمزا وقيمةً ،وربما يرجع ذلك إلى تلك الظروف التي عاشها في الاحتلال ،ومن هنا فإن المرأة تمثل شيئا مقدسا بالنسبة له،فهو الشاعر الذي تمسك بأرضه وأحبها حتى الموت،وكرس قلمه في سبيل الدفاع عنها،وكان من الطبيعي أن تكون الأرض هي الأم والحبيبة ،والأنثى التي منها ولد وإليها يعود.

ومما سبق يمكننا القول:إن صورة المرأة في الموروث الشعري القديم حاضرة بقوة بشكلها المادي إلا القليل من بعض الأشعار كالصعاليك وابن الرومي التى كان الشاعر يستعمل خياله وينظر للمرأة النضرة النفسية المعنوية،وفي الشعر المعاصر اختلفت صورة المرأة وتعددت،حيث نجدها أخذت أبعادا مختلفة وتقمصت دلالات كثيرة منها الرمزية التي تعبر عن الوطن والحرية والأرض إلى غير ذلك..

الفصل الثاني

صورة المرأة من خلال ديوان

"الساعر"

أولا- أنماط المرأة في الديوان

ثانيا- تجليات العذرية في الديوان

ثالثا- التناص في الديوان

رابعا- الخصائص الفنية

أولا- أنماط المرأة في الديوان :

1- المرأة-الحكمة:

الضيافة عند البدو أمر عظيم لا يفوقها أمر آخر، و كرم الضيف صفة ملازمة لأهل البادية و أحد أركان عاداتهم و تقاليدهم التي توارثوها فللضيف مكانة عظيمة في نفس البدو و ذلك متى ما دخل مضاربهم و حل في حماهم و قد تميز العرب بهذا الطبع الأصيل من غيرهم من الأمم و كرم الضيافة ليس حكرا على الرجل فقط و إنما للمرأة فيه نصيب و زينب ابنة شيخ القبيلة إحداهن.

يقول شيخ القبيلة :

" كنَّا الكِا َرم على َلّإنو لم نَ لْزِ***و الناس تَضْربُ في البلاد بنا المثـْل

لكننا و الحُق حـقٌ يا أَخـــــي *** نَخْشى على غِيد القبيلــةِ فَارتحـــْل[1]

يخشى شيخ القبيلة على الغيد من الشاعر الضيف و يخشى تأثيره على ابنته الأميرة : فالغزل مؤثر و أرواحهن ضعيفة إن فوجئت بالشعر تذوب على عجل في الضلوع لذلك طلب الشيخ من ضيفه الشاعر الرحيل و أن يحزم أمتعته فهو ليس بالضيف المرغوب فيه و هذا ليس من شيمه يعرب إذ من شيم العرب إكرام ضيفهم و ملاطفته قبل إنزال رحله لكن زينب ابنة شيخ القبيلة الفتاة النصوح الحكيمة في رأيِها، تستدرك الأمر و تطلب من أبيها التريث و الرحمة بهذا الضيف

[1] محمد جربوعة،الساعر،البدر الساطع للطباعة والنشر،ط1،2014،ص9

الغريب المتعب و تذكره بالواجب نحو الضيوف و عادة العرب و هي بذل الندى للضيف و تلتمس من أبيها كذلك أن يمد يده إلى ضيفه كي يحس باللطف و يطبطب على ظهره و يفرش له طرف العباءة و يبتسم ،تقـول :

لكنَّ واجِبنَا تُجَاه ضُيوفِنـــــــــا ***بذْلُ النَّدَى و لَتلْكَ عَادِةُ ْعـ ـبُـرِ

فامْدُدْ يَمِينكَ كَيْ يَحُسَّ بِلُطْفِـهـا ***واضْربْ على كتفِ الغَرِيب و طْبَطِبِ

دعْ عَنك هاجِسَك القَدِيم وقُل له*** أهْلًا و سهلاً قد و صلتَ .. و رحِّـبِ[1]

فإذا انتشى الشاعر و بدأ في قول الشعر فاسمعه حين ذاك وقل له يا ضيف صل على النبي و أطلب منه الرحيل .

قدمت زينب النصيحة لأبيها فهي روح والدها و بؤبؤ عينه تطلب منه ما تشتهى و تدلي برأيها حين ترى أن الأمر يتطلب ذلك و هي التي يأخذ والدها برأيها و يشاورها في الأمر.

إنْ همَّ بالأشْياءِ يأخذُ أيَرَها *** و يقول لا للشَّيْءِ إنْ لم تَرغبِ[2]

و هذا ما جعل الشاعر يهتز و يفكر في جميلها و جمالها و يعجب بهذه الأميرة التي تغطت بالكرم و تزينت بالنصح و المشورة لأبيها و إنها لمن شيم الفتاة العربية .

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص 15.

[2] محمد جربوعة،الساعر ،ص 17.

و من هنا فإن الشاعر لم يهمل جمال الفتاة المعنوي رغم أنه عرج باستحياء على جمالها المادي بذكره الوجه َالذي يشبه القمر و العينان الوحشيتان و ..

و قد يزاوج الشاعر العذري بين الوصف المادي المستور و بين الوصف المعنوي ،و أخلاق الفتاة العربية من كرم و رجاحة عقل و اتزان حاضرةٌ منذ القديم و لذلك فقد أشار الشاعر إلى هذه الميزة و هي النصح و الرأي الصالح و إشراكها في الرأي و الأخذ برأيها دليل على رجاحة العقل و ثبات الرأي والحكمة التي تتميز بها.

2- المرأة -السلطة:

كان الشاعر يسمع بها قبل أن يصل إلى قبيلتها ،كان يسمع بها و هي تلك المرأة الجميلة التي تحكم قومها لكنها كانت تجمع بين سطوة عينيها وسطوة سيفها و ما كان للساعر إلا أن ساقه قدره إلى قبيلة تعيش في حكم امرأة متسلطة في حكمها صارمة في قراراتها و ما أن سمعت بقدومه حتى غلبتها أنوثتها و رقت و أرسلت في أثر الساعر ليمثل أمامها و لعلها أرادت منه أن يزيدها رفعة وجاها فيذكرها في شعره و الشعر كما نعلم يرفع و يضع و يفعل ما يفعل لكن هذه الحاكمة نسيت أو تناست أن القصائد الجميلة لا تقال في ظل السيف و لا لمن فقد رقة الجمال و رغم هذا و ذاك فقد أصرت على مطلبها و ركبت الحيلَ.

نَثَرتْ له بعَضَ الورودِ بِكْيدِها ***أتَظُنُّه طِفْلًا يهَيُم بـوردهـــــا ؟

و لَربما سَقطَ لِّنقَابُ فَولـوْتْ ***و هي التي قد أَسْقَطَتْه بُشَـدِّها

وَضَعتْ على فَمِ هقَيَق ألَمِ بعٍ ***و تظاهرتْ بدموعِها في خَدِّها

همَسَتْ له أَفَلا تَرَاني فْتنِـةً ؟ ***فأَسَرَّها فيِ نَفْسه ... لم يْبُـدِها[1]

لكن الشاعر لم يذعن لطلبها رغم اعترافه بجاذبيتها و رشاقة قدها لكن حسنها ضاع بين غلظتها و نار أنوثتها اختفت و خبت من كثرة جدها و تعلل الشاعر و أكثر الأعذار و من هنا لم تقتنع بأعذاره و تهربه من تزيين ثوبها بقصيدة و راحت تهدده و تتوعده حيث تقول :

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص36

أنا ربةُ الحيِّ الذي قد جِئتهَ ***و الحكْمُ حُكمي فيهُم إجبـــــارا

وجَمعتُ للحُكمِ الجمال ألا ترَى ***أنِّي أُحـلُّ سيدي الأحْجَارا ؟

أحْتاجُ رغم الصَولجانِ لكلْمةٍ ***لقصيـــــدةٍ مملوءةٍ نـــــوارا[1]

أوَلسْت تدْري أنَّ حُلمَ يزِيدٍ ***مهْ ما سَمَتْ أنْ تسْكُن الأشْعـارا

في هذه الأبيات تجمع الأميرة بين الحكم و الجمال و حكمها في قبيلتها و تطلب منه أن يتوج هذا الجمال و الحكم بقصيدة عاطفية فهي رغم صولجانها تحتاج لكلمة و تبقى أنثى مهما سمت و بلغت درجات الحكم و حلمها أن تسْكُن الأشْعار لأن الشعر ديوان العرب و خزانتها.

" و أيُّ مَخْرج له من مأزق الأنثى إذا غضت و قد قيل : إن غضبت عليك قبيلة رجال فنم ليلك و إن غضبت عليك امرأة من قبيلة فلا تنم "[2]

هذه المرأة كانت تدعى " سلمى " و يدعونها "سيدة الهوى" لكنها كانت تبيِّتُ له السوء و تنوي الفتك به لأنها مثال للأنثى المعقدة التي تعيش بسمها و تعاقب كل من لم يذعن لرأيها و تعاقبه أشد عقاب و هي بهذا تفقد روح جمالها لأن الجمال يفقد روحه حينما يتحول من زهرة إلى صخرة

[1] محمد جربوعة، الساعر، ص 40.

[2] محمد جربوعة ، الساعر،ص 42.

و في هذا النمط إشارة من الشاعر إلى أن المرأة يمكنها أن تكون حاكمة تترأس قبيلة فتجمع بين الحكم ،و الجمال ، لكن الحكم قد يتطلب الغلظة أحيانا و تفقد جمالها بين هذا و ذاك و هو هنا يعلي من شأن المرأة و يحفظ لها مكانتها إذا يصورها وردة يجب أن تُحفظ بعيد عما يدنس جمالها ، و يفضح هشاشة قلبها المصفح و يدعو الشاعر المرأة أن تتحلى بما يزيدها حسنا و أن تحاول التوفيق بين جمال جسمها و زينة عقلها.

3-المرأة -العنوسة:

في غمرة اليأس، و تأزم الحالة النفسية عند تلك المرأة يرى الشاعر هذه الصبية التي قيل عنها أنها أجمل صبية في الحي لكن حظها جاوزه الأربعين ،و لم يطرق بابها أحد و ما ازدانت لها كف بحناء العرائس هذا ما نلمسه في قولها:

قَـــالَتْ كأنَّكَ لا تَحُسُّ بِحالَنا*** إنْ لم تُ اعَرِلَظَالعُ نوُسَ اعَنـــــا

نَ قْضي النَّهارَ بِكْذِيابَتٍ قدَ مضَتْ*** و نبيتُنْ بكي الْلَيل في مأْساتنِا

إنّ الِّحال على زمانٍ تَوُهجي ***لم يطَْ قوُلِقَلْبي الُّمَعـدَّبَ ساخِنـــــا[1]

ففي هذه الأبيات نلمس مدى المعاناة التي تعانيها هذه المرأة التي لم يعد لها إقبال على الحياة وليس لها رغبة في ملذاتها فهي فاقدة للأمل تستبعد أن يتحقق حلمها الجميل فبعد هذا العمر انطفأت رغبة الفتاة بعد أن فاتها قطار الزواج ، وراحت تهول الأمر والحال الذي وصلت إليه.

[1] محمد جربوعة، الساعر، ص 64.

ومن جهة أخرى نجد الشاعر يحاول أن يخفف عنها مآسيها ويواسيها ويقدم لها النصح رغم علمه بإصرارها على رأيها، فهو كما قال لها لا يميل إلى الفتاة اليائسة العابسة ويظهر نصحه في هذه الأبيات قائلا:

فإذا أَرَدتِ كلاَم صاحِبَ خِبْرٍ ***هذاالكَلامٌ فـــارِغٌ وَوســـاوِسُ

في القَلبِ عُمْرك لا يشَيبُ ومالَه ُ***في بابَهِ وَعلى النَّوافذَِ حارِسُ

ومن الأَوانسِ بالُقلوب عَجَائـِزٌ *** ومِن العَجائزِ بالُقلوبِ أوانسُ[1]

الشاعر يرى هنا أن القلب هو الذي يحسم الأمر ومتى كان القلب شابا يبقى صاحبه شابا رغم تقدم السن و على رأي الشاعر فإن هناك أو انس قلوبهن غير مفعمة بنبض الحيوية و الأمل و التفاؤل يظهرن العجائز و على عكس ذلك هناك عجائز تقدم بهن السن لكن قلوبهن ممتلئة بالتفاؤل و حب الحياة مقبلات على الدنيا غير يائسات و قلوبهن كالأوانس و تتواصل نصائحه حين يخبرها أن الحس فيها كامن و أنها لا تزال تغري بقدها الذي يشبه قد البان المائس و ابتسامتها التي تزين محياها و يوما ما قد يأتي خاطب و المكتوب كما قال لا سن له :

لا سِنَّ لِلْمكْتُوبِ...يأَتي حِينَما***يأْتي فَتصَعدُ لْلِقطِ َر عرائُس

ظلوِ ُ قَلْبُلمرءِ يَ ْنبتُ كَلَما***يْسَقيه من ُحلْوِ الَقصَائدِ غارُس[1]

[1] محمد جربوعة،الساعر، ص 66.

و الحظُّ يوجدُ أولُ مِنْ بَعْدِه***ثانٍ يوُجدُ خامسٌ أو ســـــادسُ

إذا أخْطأَ الأُنْثى (أغسطسُ)***مِنْ بعَدِ ذلك (فيفري) أو (مارسُ)

بعثت هذه الكلمات الأمل في نفس المرأة التي أنهكها اليأس و تقدم العمر بها و رسمت بسمة على محيّاها و تحدد فيها الأمل فالحظ فيه أول و ثاني و ثالث إلى مارس و المغزى أن لا يفقد الإنسان الأمل في هذه الحياة ففي العمر محطات و سيأتي في يوم من الأيام من يطرق بابها و لعل هذه الالتفاتة توحي لنا اهتمام الشاعر لحال المرأة و تألمه و انشغاله بما يشغلها و يحاول بعث الأمل و نشر الكلمة الجميلة و طرق موضوعا لطالما أرق فئة من المجتمع.

4- المرأة - التجارة :

مارست المرأة التجارة مند القديم قبل الإسلام و بعده مثلها مثل الرجل و قد كان للمرأة مشاركة فاعلة في أسواق الجاهلية سوق عكاظ و غيره و حتى بعد مجيء الإسلام لم تمتع المرأة من ممارسة التجارة و العمل بها .

أما في الديوان فإن الشاعر حين دخل سوق النساء في تلك القبيلة التي دخلها لم يتمالك نفسه و أحاطت به الدهشة من ذلك الضجيج و ما في السوق إلا الضجيج إضافة إلى تلك

[1] محمد جربوعة،الساعر، ص68

الروائح التي تنبعث من العطور و نباتات الصحراء و البخور و تلك الأقمشة و الحرير و حمحمات الخيول الأصيلة و مجالس الشعر و حلقه حيث لا بد من ديوان للعرب.

يقول :

سُوقُ النِّساءِ..خواتم و أساوُر ***و ملابسٌ بدويةٌ و معاطُر

وسروُج ِديباجٍ يُزِّنُ خَيْلها *** و قَصائدٌ شعريةٌ و شَواعـُر[1]

و الناس في هذا السوق بين سائل عن حاجته و حائر مندهش و هناك من جاء بحثا عن خطيبة حدثوه عنها و هناك من هو كشاعرنا الجوال و على باب السوق يلتقي الشاعر بالمرأة التاجرة و هي تعرض سلعتها و تستقبل زبائنها بطلاقة الوجه

َمدّتْ إليَّ يدا بثوبٍ...تعرضُ ***قالتْ يليقُ بكَ القَميصُ الأبيْـضُ

ولك الخيِارُ.لِ كُلِ شَخْصٍذَ وقهُ ***و أنا أُسَّوِقُ سِلْعتي.. لا أفْرضُ[2]

وكان لتلك الكلمات وقعها في نفس الشاعر على قدر ما كان لجمالها و حسنها و أخذ القميص و لبسه أمامها و رغم أنه أحسّ غلاءه إلا أنه لم يكسر خاطر هذه الصبية التاجرة و وقعت الفرحة في نفسها و راحت تعد نقودها في غمرة من الفرح

[1] محمد جربوعة،الساعر، ص 71.

[2] محمد جربوعة،الساعر،ص73

لم يبتعد الشاعر كثيرا حتى رأى صبية أخرى تروج هي الأخرى لسلعتها و قد زادها جمالا قدها الممشوق كالبان و نظراتها التي تحرق فكادت تنسيه عشقه القديم و لم يشعر إلا و هو يمد يده إلى صتَّوه ليشتري منها غزلا ليس له حاجة به.

يقول :

لْيسَ الُمهِم الغْزَل..أعْرِفُ َجيِّدا***لكنَّ َعيْنيها أصابتْ َمقْتلَي

وأنا بِطَبعي عاطِفٌي عاشق ***إنْ هزَّ َقلْبي الكُحْلُ لم أتحّمَــلِ[1]

و يبقى تأثير المرأة يوازي عملها فعمل المرأة في التجارة و غيرها لا يثني جمالها أن يهز قلب العاشقين و تبقى المرأة بطبيعتها أنثى فيها الجمال و الدلال.

5- المرأة الحبيبة :

إذا تأملنا صورة الحبيبة في هذا الديوان لمحمد جربوعة نجدها حاضرة في شكلها العفيف إذ تحضر المرأة الحبيبة في صورة فتاة تربت مع الشاعر في قبيلته و كانت أجمل ما رأت عينه لكنها اختفت و بعد عشرين سنة يخرج الشاعر باحثا عنها طاويا المسافات و الشوق يدفعه و يملأ روحه هو يبدأ رحلته في الصحراء بما في الصحراء من جمال و ما فيها من تعب و إرهاق.

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص76

لعل محبوبة الشاعر هي التي تلهمه القوة على رحلته في الصحراء و هي كذلك سبب لعذابه و أساه فهذا الشاعر قاسى تجربة حب منذ صغره و تكونت صورة الحبيبة في خياله و ملكت عقله بحسنها الباهر الذي فاق الخيال و إذا نظرنا إلى البيت الأول في مقدمة الديوان حيث يقول :

رملٌ و ناقةُ شاعرٍ ترحلُ *** بينَ القَبائلِ عن فتاةٍ يُسْأَلُ[1]

إن هذا البيت يوحي لنا و يصور تعب الشاعر و معاناته و تحمله لمشقة السفر قاطعا الفيافي على ظهر ناقته يتنقل من قبيلة إلى قبيلة بحثا عن تلك الفتاة و هذا العناء و النصب الذي تحمله الشاعر يدل على مدى تعلقه و حبه و وفائه لمحبوبته التي أسرت كيانه بجمالها الفتان و قد ادعى الشاعر أنها في منتهى الجمال و ليس هناك من يضاهي جمالها يقول الشاعر :

هويدَّعي أنَّالفتاةَ رهيبـــة ***ما مِثلُها من جِنْسِها مَنْ تذْهـــُل

إنْ قيَل عَنْها (بدْر) لم يرقْ لِجِنَسِها***أو قيَل عنها ظَبيةٌ لا تَقْبـــُل

مهما تَخَيَّل حُسْنهَا متخَيِّـــلٌ ***هَي مُنْتهَى ذاك الخيَال و أجمـــُل[2]

لكن هذا الجمال الفتان يظهر كالطيف للشاعر في سماء الأمل حيث تضاربت أخبار الفتاة فمنهم من يقول أنها تعيش في قبيلة تغزل الصوف و منهم من أخبره أنها تحكم قبيلة و آخر أخبره أنها تتبتل لكن الشاعر حلف اليمين بأن يبحث عنها و يردها أو يبقى هكذا تائها بين القبائل و هذا ما يدل على خلق و وفاء الشاعر و هذا ما يجسد الحب العذري حيث الوفاء الإخلاص و

[1] محمد جربوعة، الديوان، ص 7.

[2] محمد جربوعة،الساعر،ص7

تحمل المشاق و عناء السفر و حيث الصبر و التصبر نكران الذات و الوفاء كل ذلك تجمعه الرحلة و التجارب و يتجلى ذلك قوله :

تَحْتَلِلُ الأشياءُ بُين تجارِبي ***الشِّعْر و الطَعَنَاتُ و المْحِرابُ

لا تَعْجَبوا هذا المَسافُر نِصْفُه***كالشَّافعِي و نِصْفُه زِيــابُ[1]

وربما تكون" قدسى"حبيبة "الساعر" رمز اتخذه الشاعر ليعبر به عن شيء في نفسه،كأن يعبر بها مثلا على الإنقسام بعد الوحدة،وبعد أن كان يسود الصفاء والطمأنينة والهدوء،أصبح التنائي والتشتت يطغى على بعض الشعوب العربية،وخروج "الساعر" للبحث عن قدسى هو بحث عن تلك الطمأنينة والاستقرار،وبحث عن الذات العربية ومحاولة لمِّ الشمل.

مما سبق من أنماط فإن الشاعر ينظر إلى المرأة نظرة مختلفة عن الشعراء القدامى الذين نظروا لها نظرة مادية جسدية شهوانية فيجعل لها مكانة خاصة ،يسمو بها و يعلي من شأنها،

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص217

ثانيا- تجليات العذرية في شعر محمد جربوعة "الساعر".

إن المتأمل للشعر في العصور السابقة يرى أن المرأة قد أخذت نصيبها الوافر عند الشعراء الذين وصفوها بأجمل الأوصاف ، فمنهم من كان عفيفا في وصفه و منهم من كان موغلا في الجنسية و الإباحية،و هؤلاء العشاق العذريين أحبوا فعفّوا فكانوا صادقين في حبهّم أعْلو من شأن المرأة في شعرهم و صوروها في أسمى صورها من الأخلاق و الحسن و الجمال و بهاء النفس فهم يجعلون الحب محور الحياة يقول الأحوص :

"إذا أنْتَ لم تُعشْقْ َو لم تْدرِ ما الهوَى*** فكُنْ َحَجرا من يابِسِ الصَّخْر جُلْمدا

و كما يعلم الجميع أن الحب العذري لبني عذره هو الحب العربي الأكثر عشقا و الأصدق حباً وبهم يضرب المثل في العشق و الحب ،الحب عند العشاق العذريين هو محور الحياة ، و هو الكفيل الوحيد لسعادتهم و هنائهم و هو عنوان الخير و الكرم و طيبة النفس، قد شغلهم الحب ليلا و نهارا في الصحو و النوم و هو حب روحٌي سامي تتوحد فيه الأرواح فأي حب أجلُّ من حبهم و أيُّ عاطفة أنبْل من عواطفهم"[1].

و قد كان منهم الكثير مثل قيس بن ذريح و جميل بن معمر و غيرهم إذا "فالحب العذري حب يسمو بالمرأة إلى أعلى مكانة يمجد الشاعر حبيبته و ينحو إلى تقديسها فالمرأة في الحب العذري ثلَمٌ أعلى و قصة في الجمال الجسدي و الروحي يقول جميل بن معمر عن بثينة :

[1] أحمد الطويلي،الحب العذري ،الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم،تونس،ط2012،1،ص5

هي البدُر حُسناً و النساء كواكب ***و شتّانَ بينَ الكَواكبِ و البــدْرِ

لقد فُضِّلتلبُ نى على النَّاسِ مثلْما ***على ألف شهرٍ فُضِّلت ليلةُ القدرِ"[1]

هكذا هي بثينة عند جميل هي أفضل امرأة في الوجود و أجمل النساء جسدا و روحا.

و المتأمل في شعر محمد جربوعة يلمس ذلك التعفف الغزلي و الشعر النظيف حيث يعد باعث المدرسة الكعبية فهو الذي يرى أن بردُة كعب بن زهير لم توف حقها و سماها البردة المظلومة مقارنة ببردة البوصيري التي طالما تغنى بها الناس، في حين أن بردة كعب بن زهير هجرها الناس و بالنسبة له فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد فصل في الأمر فقد قرأ كعب بردته في مسجد النبي عليه الصلاة و السلام و لو كان هناك حرج أو اعتراض لمنعه الرسول و لما خلع بردته و وضعها على كتفيه و أعطاه فوقها مائه ناقة .

و قد سُئل محمد جربوعة : "الغزل ظاهرة لافتة في شعرك كيف يجمع الشيخ الداعية و المادح المتيم بحب الرسول الله بين هذا السمو العالي و فلتات الغزل التي لا ينجو من مزالقها شاعر قال :

يقول ابن القيم رحمه الله في معناه تعقيبا على قصيدة كعب بن زهير بانت سعاد : إن الغزل إذا كان عفيفا لتنبيه الهمم في مطالع القصائد و للدخول منه إلى أغراض جليلة فذلك هو المباح و بالنسبة لي فقد فصل رسول الله في الأمر باستماعه لقصيدة: بانت سعاد بل بتكريمه لشاعرها الذي لم يقرأها فقط أمام رسولٍ نبيٍّ بل في المسجد أيضا لذلك فإن المزاوجة بين الغزل العفيف

[1] أحمد الطويلي،الحب العذري،ص13

المرتبط بالقول و الذوق لا بالحس الشهواني الجسماني هو من المدرسة الكعبية فالحديث عن العيون و الكحل علاقته بالقلب لا بالجسم"[1].

و يكمل حديثه قائلا : "و لأن النفس البشرية بحاجة في هذا الصدد إلى المباح يعينها عن الحرام كان لا بد من قصائد غزلٍ عذريةٍ تساعد الشباب على عبور مراهقتهم و تساعد الزوج على إيجاد بيتين لعيون زوجته وتساعد المرأة أن تدندن و هي تسقي الزهور صباحا بنصف قصيدة تشبع غرورها و دلالها و جمالها ثم إنني أحاول الربط بين الجمال الخلقي و الجمال الديني فالحناء التي تحمل مصحفا تعد جمالا ثنائيا (جمال المصحف ،جمال الحناء)"[2]

أما إذا عدنا إلى الديوان "الساعر" فيمكننا أن نستشف العذرية في عدة مواطن فيه ، و أول ما يلفت النظر قول " الساعر" عندما وصل إلى حي بني عذرة :

"يا حيَّ عذرةَ .. قْبِلْنَعُ شَّاقِ*** و ُمَعلِّمي فنَّ الجنُونِ الـــــ لَّقِي

أَسْيادَ (مْوتِ الحبِ) ُمنذُ بثينةٍ *** مِن كُلِ مَجْروحِ العشْقِ ُمشْتاقِ

أَنْتُم أَئِمَّتنَا الكِبارُ و قَولـكُم ***فينِا (وبعَد الشَ عْ) كالميثـــــاقِ"[3]

[1] عبد الله لالي،حوار مع الشاعر محمد جربوعة،مجلة الأدب الإسلامي،العدد 83،تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية،السعودية ،ص30

[2] عبد الله لالي،حوار مع محمد جربوعة،مجلة الأدب الإسلامي،ص30

[3] محمد جربوعة،الساعر،ص182

في هذه الأبيات اعتراف صريح من الشاعر أن العذريين هم من يسير على نهجهم و أن حبهم فن من الفنون و أنهم أسياد الغزل منذ جميل و بثينة فهم أئمة في الغزل يأتمّ بهم و قولهم بعد الشرع كالميثاق عنده.

و من خصائص الحب العذري الوفاء و هذا ما لمسناه في الديوان إذْ أنَّ الشاعر أظهر وفاءً لصبية حلمه التي خرج باحثا عنها و مما يدل على ذلك الوفاء قوله :

حَلفَ اليمَيَن بأنْ دُّيرغيابَها *** أُو سَوْفيَ بقى هَلكَيَ تجَوَّل[1]

ظل الشاعر وفيا إلى أن كُتِب له لقاء صبيةِ حلمِه رغم أنه لاقى عدة نساء أثناء رحلته ، ولكنه لم يحِدْ عن وفاءه و لم يتخلَّ عن حبه لها ،كذلك من خصائص الحب العذري الوله و ذرف الدموع و يوصل الى حد الجنون:

" ثلْو جَهنُّم في الضُّلُوعِ تَهُّزُ ***حَسبوُهُ من أُوجاعِهَطْعُونا

شَدَّ الثيابَ على الضُّلوعِ بُقوة ***نادَى : (دخيَل الله فَلْتسقُونا)

قالتْ عَجُوزٌ في النِّساءِ حَكيمةٌ ***اسْقُوهُ ماءا احْمُوا المْسكينا

هذا الفَتى يهَوى أقصُّ ضَفيرَتي ***إنْ لم يكَنْ بجميلةَ مفْتونا "[2].

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص8

[2] محمد جربوعة،الساعر،ص118

فهو طول الطريق يعاني الأرق و السهر و يتعذب من هذا الحب الضائع الذي يسعى إلى استرداده عابرا الفجاج الواسعة و قاطعا الصحاري الشاسعة ،و الحب العذري يشمل كل شيء حتى الحيوان و خاصة الغزلان منهم التي يرى فيها فتاة حلمه قُدَسى و من ذلك قوله حين تَراءتْ له غزالة كان يظنُّ أنها من السباع البريَّة إذْ أحسَّ بطيفها فسدَّد رميتهَ إليها و حين اقترب منها و جدها غزالةً بيضاء كَأروع ما تكون الغزلان جمالا فتحرك صوته الداخلي يعنِّفه و يحرقه ندما و كَلَّمه ذلك كثير و لم يستطع فهم ما جرى :

وَجريتُ أَحْضُن رأَسها و أقول لي:*** يا ويلْ َمْن قَدْ َر وَّع الغ ِلْزنـــــــا

وتلمَّسَتْ يُمْنَايا جُ َحْ ضُلوعِها *** و تلمَّسَتْ.....فتلامستْ كفَّـــــانا

فَخَجَلْتُ ِم ن َ فْسي...ولُمتُ تَسَ ُّعي ***و َخفَضْتُ رأْسي...والتَقَتْ عينانا

أنا لو َعلْمِتُ أن هذي ظبيـــــــــةٌ*** ما أشْتدَّ َسهْم في يدَي أُو بانـــــا[1]

هكذا هو الحب العذري ينشر عبقه على كل من حوله بما فيها الحيوان فهو يرأف و يذوب ألما حتى عندما يصيب غزالة و يتألم لألمها و يحس و يشعر بما تشعر و يقاسمها جروحها.

و رغم كل هذا و ذاك فإن الغزل العذري " لا يخلو من واقعية و من عناصر حسية و من ذلك وصف جمال الجسد، و التغزل بخلقة المحبوب، فالشاعر العذري لا يصف عذابه و حرمانه

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص48

و أرقه و تسهيده و ما يعانيه في حبه، و إنما يصف أيضا صفات المحبوبة المتصلة بأنوثة المرأة و دلالها و تغنجها "[1].

و نجد ذلك عند شاعرنا في وصفه لمحبوبته و لغيرها ممن التقى بهن في طريقه إليها:

أنا لسْتُ أُنْكِرُ أنها جَدَّابَـةٌ ***مشوقةٌ كالخَيْزُرَانِ بَقدِّهـــــا

و البدْر يولدُ في ضِفافِ عُيونها ***و الشمسُ تشرقُ من عِنْدِها[2]

و في قوله أيضا :

قمرا أطلَّتْ تُشْبه (الغزْلان...) ***هي طَفرةٌ لابَلْ تَقْتُ الأمْثالا

لمـــّا رآها أقبلـتْ بغُرورِهـا ***طَيْفًا جميـــلًا ذائبـاً محتـالا

و قـوله :

عَيناكِ ذابِلَتانِ خَوْفي مِنْهمـــا ***مِن يلتَـانِ و تُعجبـانِ و أَكْثُر

و كلامُكِ المجْنونُ قِطعةُ سُكّرٍ ***مُسْلٌ مُصفَّى من شِفاهِكِ يظَهُر

و هذا الوصف العذري العفيف مرتبط بالذوق و القلب كما قال الشاعر لا بالحس الشهواني الجسماني فالحديث هنا عن العينين و عن الكلام و الشفاه علاقته بالقلب لا بالجسم.

[1] أحمد الطويلي،الحب العذري،ص18

[2] محمد جربوعة،الساعر،ص37

و الشاعر العذري يعتبر فراق الحبيب يتما و يتقرب بأي شيء يذكّره بمحبوبته و من ذلك قول الشاعر قيس :

إلى الله أشْكُو فَقْدُ لُبنى كَما شكا***إلى الله فقد الوالدَينْ يتيـــــم

يتيم لَحَفُ الأقْ بوَنَ فَجسُمـــــــه***كَحَ يلٌ و عهد الوالدين قديمُ

فقد أتي قيس موضع خباء لبنى حينما فارقت المكان وأخذ يمِّرغُ خَدَّه على ترابها . البيتين السابقين"[1].

و هذا ما وجدناه مشابها في الديوان "الساعر" عندما اقترب من ديار "قُدسى"الفتاة التي يبحث عنها و كان يخاف أن لا يجدها لكنه يعلل نفسه بالآمال و يجعل لنفسه فسحة من الأمل لما قد يجده في حيِّها من آثار لقدس كمرود كحل قديم في خيمة أو شَعرٍ لها في مُشط في الثرى أو وردة كانت تسقيها قرب خيمتها ،ثوب خلّفته على حبل غسيل أو أثر قدم على رمل....

سَأَمرُّ بين خِيامها لأَشُمَّها*** في ناقةٍ ، في أمهـــا ، في مسنـــــــــد

ولكي تلُامسَ فيَ قَاياها يدي ***يَدها أُمِرُّر فوق جَـــ ِّها يـــدي

وأدُور أَبْحثُ عن خيوطِ عباءةٍ ***عَلقَتْ بمسمارٍ و مِرْوِد إثْمِـــــــد

عنْ مُشطِ عاجٍ في شَعراتٍ لها ***أو فحْمةٍ قد لاَمَستْ فيَ مَوقـــد[2]

[1] أحمد الطويلي،الحب العذري،ص12

[2] محمد جربوعة،الساعر،ص249

يؤكد لنا الشاعر محمد جربوعة أنه من أهل الغزل العذري العفيف في هذا الديوان،وقد لمسنا ذلك أثناء تتبعنا له ودراسته،ولعله في قصيدته "أوهام زينب" يثبت ما قلناه ويصادق عليه بلسانه.

يقول:

أَتَظُنُّ زينبُ أنَّ قَلْبي ســـاذِجٌ *** أبدًا فَقَلْبي في الحياة مُجَـــرِّبُ

وأنا كبيرٌ كلُّ مجْرًى في هَمـــي *** غَزِلٌ عفيـــفٌ لاهبٌ يتشبَّبُ

من هنا فإن الحب العذري العفيف ، طاهر ، نقي يسمو بالمرأة إلى أعلى مكانة و هو حب يتَّسِم بالوفاء و الإخلاص و لا يخلو هذا الحب أحيانا من واقعيته و من وصف حسي مثل جمال الجسد و التغزل بخلقة المحبوبة و دلالها و قد ظهر ذلك عند الشعراء العذريين القدامى أمثال جميل بن معمر (جميل بثينة) و قيس لبنى ، و غيرهم.

ثالثا- التناص في الديوان:

منذ القديم انفتحت النصوص على بعضها وتفاعلت ، والنصوص فضاء مفتوح قابل للإندماج والتفاعل مع غيره من النصوص السابقة التي تمثل مرجعية وامتدادا.

تقول" جوليا كرسيتيفا ": "إن التناص هو ترحال للنصوص ،وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع ملفوظات عديدة منقطعة من نصوص أخرى ، وترى أن التناص هو التفاعل النصي في نص بعينه ، وتفسر ذلك بأن الدلالة الشعرية تحيل إلى معاني القول المختلفة ، ومن حسن الحظ يمكننا أن نقرأ أقوالا متعددة في نص الخطاب الشعري، وبهذا ينشأ حول الدلالة الشعرية فضاء نصي متعدد الأبعاد ،ويعكس لعنا صره أن تتطابق مع النص الشعري المتعين ، وهذا الفضاء هو التناص"[1] والتناص من أبرز سمات الشعر المعاصر حيث تتداخل أبنية نصوصية لها صلة مختزنة في ذهن المبدع ، وقد حفل الشعر المعاصر بالتناصات ليثري طاقة الشاعر التأثيرية ، وهذا ما وجدناه في ديوان "الساعر" لمحمد جربوعة ، وقد اتبع عدة أنواع من التناص في هذا الديوان من أهمها:

1-التناص الديني:

يعد القرآن والحديث الشريف رافدا مهما من روافد التجربة الشعرية لدى الشعراء المعاصرين باعتبار التراث الديني من مقومات الشخصية العربية الإسلامية والقارئ لمحمد جربوعة يظهر له

[1] علي بن أحمد بن محمد الزهراني، صورة المرأة في شعر يحى توفيق، رسالة ماجستير،جامعة مؤته، كلية الآداب واللغات ،فلسطين ، 2008،ص116.

حرص الشاعر على توظيف التراث الديني في شعره ،فقد حاول محمد جربوعة توظيف الخطاب القرآني في قصائده بما يتلاءم مع السياق مما أعطى رونقا وجمالا للقصائد .

ونشير إلى حضور النص القرآني في شعر محمد جربوعة من خلال تأثره بقصة سيدنا يوسف حيث يقول:

وَضَعتْ على فَمها رقيقَ أَصابِعٍ *** وتظاهرت بِدموعِها في خَدِها

هَمسَت له أَفَلا ترَينِي فِتنةً !***فأَسَرَّها في نَفْسه لم يُبدِهـــا[1]

قد تمثل الشاعر في البيتين قصة سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى:﴿ « قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ » ..سورة يوسف آية 77.

فالشاعر استدعى لغة القرآن ووظفها في إطار مخالف للنص القرآني من ناحية المضمون ، وهكذا جاء التناص ليخدم القصيدة و يضيف لها إحساسا خاصا يجعل القارئ يشعر بما يعانيه الشاعر حين كتم إحساسه وشعوره تجاه الفتاة ولم يبده لها.

في قوله:

طَبْعُ التَّمْسكُن في النِّسا غَلَّابُ *** ويُقَالُ عنْ (صِدْقِ) النِّسا(كذَّابُ)

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص36

فإذا بـ َكَيْن لَدَيـْكَ،أبـْشِر ،إنَّـــمـــا *** يـ َدْهَنَّ لَحْـمَكَ.ثُم ، يأْتي النَّـــابُ.

ولهـُنَّ في فَـنِّ الغِـــــــــوايةِ قِـصَّـةٌ*** وأَقلُّها الْقُصـلنُ والأَبـْ ـــوابُ[1]

في هذه الأبيات إشارة إلى قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع زليخة امرأة العزيز حين تعرضت لسيدنا يوسف وحاولت أن تفتنه ،لكن يوسف كان عفيفا طاهرا وأسرع ناحية الباب يريد الخروج ،لكن امرأة العزيز أمسكت بقميصه فتمزق. ولذلك نجد الشاعر قد استحضر الفتنة والغواية وذكر القمصان والأبواب . وهنا توجد إشارة من الشاعر إلى مكر تلك الفتاة وكذلك إلى عفة "الساعر" وعذريته .

كذلك في قوله:

سُبحانَ مَنْ يُحْيِّ الرَمِيم بِقَولِ كُنْ***ويـ ُهُّ قَلْبَ الصَّخْرةِ الصَّمَّاءِ[2]

في هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى:« .وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ » سورة يس آية 78.

وفي هذا التلميح إلى أن قلب الحبيبة قد استيقظ بعد أن كان ميتا لمدة طويلة من الزمن بمجرد أن سمعت بقدوم الساعر للبحث عنها .

هناك تناص آخر مع القرآن في قول الشاعر:

[1] محمد جربوعة،الساعر،216

[2] محمد جربوعة،الساعر،197

يَجْرِينَ خَلْفَكَ في الغَوايةُ مدَّةً ***إنْ همْت ،(والشعراء يت...)في..واد.

يتناص مع قوله تعالى:« ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ » سورة الشعراء آية224،225

وفي هذا إشارة إلى ما قطعه "الساعر" من صحاري وما عاناه من السفر لأجل محبوبته التي يبحث عنها .

2- التناص الأدبي:

ارتبط الشعر ببعضه منذ القديم ، فهو كسلسلة تتصل فيها الحلقة بالأخرى،وارتباط شاعرنا بتاريخه يدل على إطلاعه بتراثه ،وهذا ما ظهر في شعر محمد جربوعة ، فحوى الكثير من التناصات الأدبية التي زادت من جمال قصائده ، ففي قوله:

وخَرْجتُ أَبَطُ في الظَّلامِ بِناقَتي ***وكأنَّها في خَبْطِها عَشواء.[1]

يقترب شاعرنا من قول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى حين قال في معلقته:

رأَيْتُ المنايا خَبْطَ عَشْواء مَنْ تُصِبْ***تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئ يُعَمَّر فَيَهْرَم

وزهير هنا يصف الموت في تخيّرها لمن استوفوا آجالهم ، حيث لا يوجد نظام معين يمكن للمرء أن يطلع عليه إذ أن الأمر بيد الله .

[1] محمد جربوعة،الساعر،41

فكذلك شبهّ الشاعر محمد جربوعة الناقة وهي تسير في الظلام الدامس عند مغادرة "الساعر" لتلك القبيلة التي تُبيِّت حاكمتها له مكرا ، فخرج يخبط بناقته خبط عشواء وهذا التناص زاد من جزالة البيت ومتانته .وموضع آخر نجد تناصا آخر فهو عندما يقول:

قالتْ سَيْساني ويـ َبرأُ جرُحه أَهْلُ** الهوى العـُـذْري لا يـ َنْسونا

هَي قد نَمَتْ زيتونةً في قلْبِه*** أَتُرى سَيْنسى الغـلرِسُ الزَّيـ ْتونـا

فهو يتناص مع الشاعر محمود درويش في قصيدة (عن الصمود) في قوله:

لو يذكر الزيتونَ غارُسه

لصار الزيت دمعا.

وكما هو معروف فإن شجرة الزيتون أصلها ثابت وفرعها في السماء ،وهي رمز الكفاح والصمود و الوفاء وقد شبه شاعرنا حبه للفتاة بشجرة الزيتون وعلاقة الزيتونة بغارسها حيث هناك علاقة وطيدة بين الزيتون وغارسه . فكما لا ينسى الغارس الزيتون لا ينسى "الساعر" محبوبته وسيظل وفيا لها و ستظل هي راسخة جذورها كشجرة الزيتون في قلبه .

يوجد تناص داخلي كذلك في قوله :

دَخلَتْ عليَّ فَقُلتُ أُمسِكُ دَهْشَةً ***"اللهُهذي البِنـْ تُ ما أَحْلاها

شَعْرٌ عَفيفٌ جاهـ ـلُي واثـِقٌ ***وظفائرٌ يـ َلْـــــهو بها كَتِـفاهـــا

إلى أن يقول:

فإذا مَشتْ جَرَّتْ حدائقَ بابلٍ *** وتَغَرَّتْ في حُسْنِها رِجْلاها

فهاته الأبيات من قصيدة للشاعر محمد جربوعة بعنوان "خطيرة"ويوجد تناص أدبي كذلك تقاطع فيه الشاعر جربوعة مع الشاعر الكبير شاعر المعلقات الأعشى يقول محمد جربوعة:

قَلْبي لِـ فاتِـ نَتي ،وَقَلْبُ حَبِيبتَي*** لِـ سِوَايَ لَانا،وَلِي أَنا ما لَانا[1]

وقد تناص في هذا البيت مع الاعشى حين يقول:

عُلِّقْتُها عَرَضًا، وعُلِّقَتْ رَجُلاً*** غَيْري وعُلِّقَ أُخْرى غَيْرها الرَّجُلُ[2]

وهذا إنما يدل على ثقافة الشاعر وسعة إطلاعه وقدرته على استحضار النص الغائب وتوظيفه أحسن توظيف ليرصع به ويطرز قصائده فيزيدها ذلك جمالا ورونقا .

3-التناص الأسطوري:

كانت الأسطورة ولا تزال مصدر إلهام للفنان والشاعر وقد تأثر الشاعر العربي المعاصر بالأسطورة واتخذ منها قوالب فنية ذات أبعاد رمزية يمكن من خلالها التعبير عن قضايا واقعيةو"لعل من الظواهر الفنية المميزة للقصيدة الشعرية المعاصرة اعتمادها على استحضار وتوظيف الأسطورة بل لقد أضحت الأساطير تشكل بنية فنية من بنى النص الشعري المعاصر ". [1]

[1] محمد جربوعة، الساعر،ص242

[2] أحمد الامين الشقيطي،شرح المعلقات العشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د.ط)،2004،ص4

وهذا ما لمسناه في شعر محمد جربوعة فهو حين يقول:

وإذا رَأَيْتِ النَّار تأْكُلُ أضْلُعي*** أرجــوكِ لا تَجْري إلى إطْفائي

فالنَّار لِلْحُوقِ أَوَّلُ بَعْثِــه ***وكَمــا سَمِعْت بِقِصَّةِ العْقــاءِ

ففي قوله هذا إشارة إلى طائر العنقاء أو الفينيق كما يسمى هذا الطائر الأسطوري الذي اختلفت فيه الأقاويل ، حيث يعيش من ثلاث مائة إلى ألف عام وعندما تقترب نهايته يبني عشا فوق قمة نخلة وبعدها يشتعل العش حتى يحترق ليصبح رمادا وينتج من هذا الرماد طائر آخر يعيش مثل سابقه وهكذا يحدث نفس الشيء بالنهاية ، ولذلك سمي طائر النار،وبذلك تظل العنقاء تجدد نفسها وتظل شابة إلى الأبد.

وقد شبه الشاعر ذلك الحب من بين ضلوع حبيبته"قدسى" وكأنه حب لا يموت حتى إن تعرض للإحراق .حيث يتجدد كما يتجدد طائر العنقاء فنار الحب تبعث فيها ذلك الأمل والإقبال على الحياة، وقد خلق هذا التَّناص الأسطوري تفاعلا بين الماضي والحاضر.

ومن هنا نجد أن الشاعر محمد جربوعة قد استعان بالكثير من الموروث الديني والأدبي والقليل من الأسطوري مقارنة بسابقيه ، واستطاع أن يمتص من هذا الموروث الكثير من الأمور منها إظهار القدرة والبراعة في السيطرة على توظيف هذا الموروث وتظهر ثقافة محمد جربوعة الواسعة في معرفة الأحداث منذ القدم ، وتزين النص بالصور الجميلة والأخيلة المستمدة من هذا التناص.

[1] يوسف عبد المجيد فالح الصخور، صورة المرأة في شعر خليل مطران، رسالة ماجستير،جامعة ،مؤنه، كلية الأداب،2011،ص165.

4- التناص التراثي

وكذلك يتناص الشاعر في قوله :" اتخذ الساعر ديار زينب ظهريا وفي النفس شيء من زينب"[1] وفي هذا القول تناص مع المقولة المتداولة بين أهل النحو و التي مفادها"مات سيبويه وفي نفسه شيء من حتى،والخلاصة في حتى أنها عملت من الأسماء والأفعال عملا خلاف غيرها التي تختص بنوع واحد إما الأفعال أو الأسماء وهذا على قواعد أهل العربية مشكل .وكذلك في نفس الساعر شيء من زينب التي كادت أن تستميله ويبقى في حيها والمعنى أنها ستبقى في باله وسيذكرها دائما ويذكر جميلها واستضافتها له حين لم يستضفه أهلها.

وفي موضع آخر نجد الشاعر يتناص مع التراث في قوله:

قُل لي الحَقيقَةَ: واتِرِكِ الأَعذَارا*** فَلَسوفَ تَدخُلُ إن كَذَبتِ النارا

وفي قوله:

ويُعلِّقُ الأَشرارِ من أشفارهم*** ما أَتعَسَ الأَشرارَ والأَشفارا

ففي البيت الأول تناص مع المقولة التي تتردد في مجتمعاتنا العربية و تقال عادة للأطفال الصغار لتخويفهم من عاقبة الكذب فيقال للطفل أنك إن كذبت سوف تدخل النار ،وفي البيت الثاني كذلك فيه تناص مع مقولة تتردد عند الأطفال الصغار وهي أن من يكذب أو يسرق سيعلقه الله

[1] محمد جربوعة،الساعر، ص29

من أشفا ره وفي هذا ربما يريد أن يشير الشاعر إلى أن الإنسان بداخله طفل صغير مهما كبر في السن.

هناك تناص آخر يرجع إلى التراث من أمثالنا العربية المتداولة فهو عندما يقول:

فَلِمْن سَيَقْرأُ الأَعْجمُي(ِ دَاوُد) ***وَمِن التي سَتموتُ فيه وتُفْتَنُ [1]

فهو يتناص مع المثل الشعبي الشائع في الوسط العربي القائل: « لمن تقرأ زبورك يا داوود. » وهذا المثل يضرب عندما لا يجد الإنسان من يفهمه أو يتفاعل معه وهذا الشاعر الأعجمي الذي يرطن بشعره لم يجد آذانا صاغية له.لأنهم لم يفهموا ما يقوله أو ربما لأن شعره لم يكن في المستوى ولذلك أنفضّ الناس من حوله وتركوه قائما وفي هذا التناص دلالة على أن الشاعر محمد جربوعة يملك مخزونا تراثيا كبيرا يؤهله للكتابة من نصوص أخرى غائبة والغرض من ذلك هو ترسيخ الفكرة وتوكيد المعنى .

[1] محمد جربوعة ، الساعر،ص80.

رابعا: الخصائص الفنية:

1-اللغة و الأسلوب:

إن اللغة هي المقوم الأساسي في بناء الحضارات الإنسانية ،فهي التي يحقق بها الإنسان مداركه وهي التي تمكنه من إيصال ما يجول في خاطره وذهنه إلى الآخرين وهي العنصر الأساسي الذي يستخدمه الشاعر في صنع قصيدتيه " ففي أرضها تتجلى عبقرية الشاعر ،ومن لبناتها تبنى الأشكال الفنية التي تتآزر على إبداعها مجموعة نفسية وجمالية معقدة ، فاللغة هي وسيلة الاتصال بين المبدع والمتلقي في العمل الشعري ،ولا يقصد باللغة اللفظية المفردة ،وإنما وجودها في سياق خاص، واتصالها بكلمات أخرى تتفاعل معها ، وتؤثر فيها، ومن هنا فإن اللغة أهم ما في الأسلوب ، واختلاف العبارات و التراكيب يدل على اختلاف الطرائق في التعبير عن العواطف والأفكار."[1] واللغة تتعدى وظيفتها الاجتماعية ،فتشكل عملية بناء العمل الأدبي نثرا كان أم شعرا ، حيث يسعى المبدع من خلال مخزونه الثقافي إلى إيجاد علاقات حيوية بين مفرداته وألفاظه ومعانيها ، محاولا أن يقيم بينها روابط وثيقة من خلالها يتجاوز إلى أعماق المتلقي ويحدث التفاعل .والقارئ لشعر محمد جربوعة يجد شعره متميز بأسلوبه القصصي ، السردي ويمكننا أن نميزه بهذه الصفة، حيث يبدأ بفكرته الواعية التي تبدأ برحلة بحث بما فيها من روعة الصحراء و الغروب وثغاء القطعان وأباريق الشاي على الجمر . وهذا ما يجعل القارئ ينجذب شيئا فشيئا ،لأن الطابع البدوي و استحضار الصحراء والخيمة والأخلاق التي يتحلى بها العربي في ذلك الزمن الجميل تستهوي النفس وتشعرها بالراحة والعودة إلى أصلها ، فيخرج القارئ من واقعه المادي الذي أجهد النفس وأتعبها ، فيفتح لها الشاعر مساحة وفضاءا وسط هذا التسمم الأخلاقي والعاطفي ،مساحة للود والورد وقد تميز أسلوب الشاعر بالبساطة والانسيابية و التدرج في الانتقال من حلقة إلى أخرى واستمد قوته من هدوءه و معانيه الكبيرة في تلك المباني السهلة والواضحة ،وتلك الأفكار المترابطة والمتسلسلة ، حيث التزم الشاعر في الديوان نظام

[1] زايدعلى عشري،عن بناء القصيدة العربية الحديثة ،الضحى للطباعة، القاهرة،(د.ط)،(دت)ص42

القصيدة ذات الشطرين (العمودية) زينها بأسلوبه الجميل الذي يشع منه شأن الإصرار و البحث عن المحبوبة التي اختفت من خمس قرن وبقيت صورتها لا تفارق خياله فحلف بأن يبحث عنها حتى يجدها ويظهر ذلك في قوله:

لأَنَّهَــا كانَتْ صَبيةَ حُلْمِــــه***أو أنَّها الحــُب الـــبريء الأولُ

حلَفَ اليَـمينَ بأَنْ يـُرَدَّ غِيابَهــا***أو سَوْفَ يَبْقى هكَذا يتَجَوَّلُ[1]

فقد استعمل الشاعر ألفاظا واضحة لا غموض فيها تتميز بالسهولة، حيث نجده يستعمل في بداية المسلسل الشعري ألفاظا تدل على البيئة الصحراوية مثل الرمل والناقة و الترحل وهذه الألفاظ توحي بالرحلة التي سيخوضها الشاعر ،وتتصف بالدقة و السلاسة والعذوبة والإيحاء فهي موحية تخدم عاطفة الشاعر التي تتوق إلى أخلاق العروبة في زمنها الجميل و الأخلاق التي ضاعت وضاع معها الاستقرار و الاطمئنان ولغة الشاعر مألوفة ألفاظها مأنوسة رغم أنه استخدم الألفاظ التي تعيد إلى زمن الناقة والرمال والقبيلة إلا أن الألفاظ لا تقف عند حد الدلالات المعجمية بل تتعداها إلى أكثر من ذلك حيث يهدف الشاعر إلى استعمال اللغة المناسبة والألفاظ المناسبة للمقام الشعري لذلك نجده يركز على الألفاظ التي تعبر عن فكرته وتصور أخيلته ، حيث يصور لنا لحظة عربية مهربة من الزمن الجميل إلى الواقع العربي الرديء ومن خلال تلك اللحظة يمكننا أن نضع اليد على ما ضاع منا... لأن الذي ضاع من الأمة العربية ليس الخيمة والحصان بل هو السعادة والاطمئنان والأخلاق و الأصالة وهذا ما يحدث عنه الشاعر محمد جربوعة حين قال "إني أعرف جيدا ما يحفره الألم في القلوب ، فإني والله العظيم مهموم في كل دقيقة من حياتي بهم الإنسان وهم أمتي.....ولئن كان الله تعالى قد وهبنا في الدنيا عمرا واحدا فلماذا علينا أن نعيشه في حفرة الأحزان ؟ وحين أتحدث عن أحلامي ، فأنا في الحقيقة أعني الأحلام التي نذرت عمري

[1] محمد جربوعة، الساعر، ص8.

لتحقيقها ،إني أحلم بمنطقة بمدينة فاضلة جميلة ،نواتها الإنسان الجميل الذي يجعل كل ما حوله جميلا، وأنا أدرك أن الكلمة الجميلة الطيبة هي الرسالة التي نبعث بها إلى قلوب الآخرين".[1]

فهو يراهن على الذين يحملون قلوبا طيبة ويجلون الكلمة الطيبة والجمال ولا خير في الشعر إذا كان مجرد متعة عابرة أو استعراض لغوي عقيم ومسلسل "الساعر" هو قطار الحب والجمال يتوقف بين الحين والحين في محطات لينشر الكلمة الطيبة والحب الصادق، هذا القطار الذي طالما كان حلما للشاعر الذي يحلم بعكاظ عربي ،بعيدا عن السياسة والطائفيات وحسابها ، السوق الذي ينعقد مرة في العام بطابعه في اللباس ، فيه شعراء وشاعرات بالأزياء العربية ، ليرى من خلالهم استمرار ما كان عليه أسلافهم من أقحاح الشعر، يحلم بالخيول والنوق في السوق للبيع وللفرجة والعسل والورد والأعشاب و المباخر والفضة ما يكون تجارة لا فقط ديكورا. يحلم بعكاظ الخيام والمجالس والأخلاق العربية ولهذا اتخذ من الشاعر السائح سفيرا للمحبة والكلمة الطيبة والحب العذري الصادق .

2-البنية الإيقاعية:

يعتبر الوزن والقافية من أهم مقومات الشعر العربي،إذ لا يمكن لأي شاعر أن يستغني عن الموسيقى في قصائده لأن الشعر إذا استغنى عن الموسيقى يتحول إلى كلام نثري عادي وقد قال قدامة بن جعفر في تعريفه للشعر:"هو كلام موزون مقفى يدل على معنى".[2]

فالوزن يكسب العمل الشعري بعدا جماليا،ودلاليا في آن واحد،بمعنى أنه يضفي الشعرية على شكل القصيدة،وهو ليس مجرد تزيين وتنميق ،ومن هنا فإن الوزن والقافية لهما أهمية كبيرة بالنسبة للشعر،وهما جزآن لا ينفصلان.

[1] محمد جربوعة ،دعوني أحدثكم عن أحلامي،www.ruowaa.com.05.03.2015.21h

[2] قدامة بن جعفر،نقد الشعر،تح محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون،مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة،مصر،ط2،(دت)ص53

أ- الوزن:

في كتابها قضايا الشعر المعاصر تكلمت نازك الملائكة عن الوزن قائلة:"هو مجموعة من التفعيلات التي يتألف منها البيت،وهو ميزان الشعر"[1].

من خلال تتبع أوزان القصائد الموجودة في ديوان "الساعر"يمكن القول إن الشاعر محمد جربوعة اعتمد طيلة ثلاثين حلقة على البحر الكامل وهذا البحر يصلح لأكثر الموضوعات حيث يتميز باتساع مساحته،فهو البحر الذي تتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة مما يمكّن للشاعر بأن يعبر بحرية عما يجول في نفسه وكما هو معروف فإن البحر الكامل يناسب شعر الغزل،وذلك نظرا لخفة موسيقاه،وتفعيلات هذا البحر هي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

فضلا عن قدرته على الجمع بين حالات التغني والتنفيس عن اختلاجات النفس المتألمة"كما عدَّه البستاني أتم الأبحر السباعية،وقد أحسنوا بتسميته كاملا،لأنه يصلح لكل نوع من أنواع الشعر ولهذا كان كثيرا عند المتقدمين والمتأخرين،وهو أجود في الخبر منه في الإنشاء"[2].

وقد جمع الشاعر بين حركات البحر الكامل التي عددها ثلاثون،وبين عدد حلقات مسلسله الشعري الذي بلغت حلقاته ثلاثون حلقة،ومن الزحافات التي تختص بالبحر الكامل الإضمار وهو تسكين الثاني المتحرك،ومن أمثلة ذلك قوله:

كنَّا الكِرَام على الزَّمانِ ولم نزَلْ***تَضرِبُ في البِلادِ بِنا المَثَلْ[3]

0//0/// 0//0/// 0//0/0/ 0//0/// 0//0/// 0//0/0/

وفي قوله:

[1] الملائكة نازك،قضايا الشعر المعاصر،منشورات مكتبة النهضة،بغداد،العراق،ط2،(دت)ص22

[2] عبد العزيز بزيان،صورة المرأة في شعر صعاليك العصر الجاهلي،ص154

[3] محمد جربوعة،الساعر،ص9

أُرواحُهنَّ ضَعيفةٌ إن فُوجِئتْ*** بالشِّعرِ ذَابَتْ في الضُّلوعِ على عَجَلْ

"والزحافات هي الإسراع وفي العروض تسمى بهذا الاسم إذا دخل التفعيلة أسرع النطق بها،وذلك لنقص حرفها بالحذف او حركاتها بالتسكين وهو تغيير مختص بثواني الأسباب لأنه أكثر دورانا في الشعر من العلة..وقد اختص بثواني الأسباب سواءا كانت خفيفة أو ثقيلة في حشو أو في غيره"[1]،والزحاف الذي يدخل البحر الكامل هو الإضمار فتصبح التفعيلة

مُتَفاعلِنْ مُتْفاعِلُنْ

0//0/0/ 0//0///

حيث لاحظنا كثرة زحاف الإضمار في ديوان "الساعر"ومن ذلك قوله:

بَاتَتْ تُحَدِّثُ قَلْبَها وَتَقُولُ***في نَفْسِها يا قَلْبُ يا مَهْبُولُ

0//0/0/ 0//0/0/

وإذا كان للوزن أهمية في تأليف القصيدة الموسيقي،فإن هناك عناصر أخرى تؤثر في موسيقى القصيدة كإبداع الشاعر بالتصريع أو الجناس وكثرة الزحاف أو إقلاله منه له دور في التأثير الموسيقي ولذلك فإن زحاف الإضمار مسّ القصائد بشكل ملفت للانتباه وبعدد كبير.

ب- القافية:

"وهي المقاطع الصوتية التي تكون أواخر أبيات القصيدة،أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت"[2].وقد اختلف العروضيون في مقدارها فمنهم من قال:"هي الحروف التي تبدأ بمتحرك

[1] محمد مصطفى ابو الشوارب،علم العروض وتطبيقاته منهج تعليمي مبسط،دار الوفاء،الإسكندرية،مصر،ط1،2004،ص42

[2] عبد العزيز عتيق،علم العروض والقافية،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،ط1،(دت)ص134

قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري"[1]،ومنهم من ذهب إلى أنها آخر ساكنين في البيت والمتحرك بينهما الذي قبل أولهما"ويتصل بالقافية حرف الروي وهو آخر حرف صحيح في البيت وعليه تبنى القصيدة وإليه تنسب"[2]،والقافية شريكة الوزن تختص بالشعر ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية،وتكرار القافية يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية،ومن الملاحظ أن الشاعر محمد جربوعة قد اختار حروف الروي القوية وهي اللام،الراء،الباء،الألف،الميم،..وهذه الحروف تفتح المجال للشاعر وتتيح له التعبير بحرية،ولم يقتصر محمد جربوعة على روي واحد،ولا على قافية واحدة،حيث تعددت أوزانه من قصيدة إلى أخرى،وقد تكررت هذه الملاحظة طيلة المسلسل الشعري إلى آخر حلقاته فنجده في البداية يقول:

رملٌ وناقةُ شاعـــيترحلُ *** بين القبائلِ عن فتاةٍ يســـألُ

فحرف الروي هنا هو حرف "اللام" والقافية "يسأل"،وفي موضع آخر يقول:

أَيَعيشُ طُولَ حَياتِهِ مُتَجَوِلاً***يَهوى النِّساء ويَكْتُبُ الأَشْعارا[3]

حرف الروي هو "الراء"،وفي موضع آخر يقول:

طَرقتْ خِبَائي في الدُّجى عَذراء***لاحةٌ بَدْويةٌ شَقـــراء[4]

ويقول بروي "الباء":

كَتَبُوا ونكتُبُ والحياةُ كِتابُ***نا كما في حُجِّهم قد ذابُوا

[1] عبد العزيز عتيق،علم العروض والقافية ،ص117

[2] عبد العزيز عتيق،علم العروض والقافية،ص32

[3] محمد جربوعة،الساعر،ص30

[4] المصدر نفسه،ص43

وهناك بعض حروف روي أخرى مثل "الميم"و"السين"وغيرهما.

الملاحظ أن الشاعر محمد جربوعة لم يلتزم قافية واحدة ولا روي واحدا،بل تنوعت قوافيه حسب المقام و الدفقة الشعورية،وقد ظهر حرف "اللام" عشر مرات و"النون" ويأتي حرف "الراء"وهذه الحروف من الحروف الواضحة،فهي ليست رخوة ولا شديدة الانفجار،لكنها من الحروف المجهورة ومن القوافي الأكثر انتشارا على الألسن.أما أنواع القوافي فقد لاحظنا نوعين من القوافي:

-المتواترة:0/0 تتمثل في ساكنين يتوسطهما حركة ومن ذلك قوله:

باتَتْ تُحَدِّثُ قَلْبَهاَ وَتَقُولُ***في نَفْسِها يا قَلْبُ يَاَهْبِلُ

فالقافية هنا"بول"وبين ساكنيها اللام المتحرك وقد جاءت القافية جزءا من كلمة

المتداركة:0//0 كما في قوله:

كُنَّا الكِرَام على الزَّمانِ ولم نَزِلْ ***وَالنَّاسُ تَضْرِبُ في البِلادِ بِنَا المثَلْ

القافية "المثل" فيها حركتان بين ساكنين وقد جاءت القافية كلمة،وبالإضافة إلى التوازن الذي ينتج من الوزن والقافية هناك عنصر آخر يعكس الانفعالات النفسية والأحاسيس الوجدانية هذا العنصر موجود بشكل لافت للانتباه وهو:

-التصريع :والتصريع في الشعر بمثابة السجع في النثر فهو تقابل واتفاق الحرف الأخير بين شطري البيت والهدف منه إحداث جرس موسيقي يطرب الأذن ويجذب الانتباه وفيه إعلاء للجانب الصوتي للمطلع الشعري"وفائدته في الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم

قافيتها،وشُبِّه البيت المصرع بباب له مصراعان متشاكلان، وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام"[1]،ومن ذلك قوله:

رمــلٌ ونلقةُ شاعرٍ يَترَحَّلُ *** بينَ القَبائـــلِ عَنْ فتاةٍ يَسْألُ

وقوله:

ســـَار الغَرِيبُ ولَيْتهَ ُماســـَـــارا*** بيَن الصَّحَارِ هائمِـــًـــا محْتُـــارا

فقد صّرع الشاعر ب:(يترحل،يسأل) وهذا النوع سماه ابن الأثير التصريع الكامل واعتبره من أحسن أنواع التصريع وهناك الكثير من أنواع التصريع كذلك.

3. -المعجم الشعري:

إن الدارس لشعر محمد جربوعة يجد الكثير من السجلات اللفظية التي تشكل حقولا دلالية غنية بالمفردات،فمسلسل "الساعر" الذي تناول فيه رحلة الشاعر السائح في بحثه عن صبية حلمه،وفي رحلته تعرض لصور عديدة وإلى محطات كثيرة في طريقه إلى قبيلة مروج الياسمين أين توجد حبيبته،ومن خلال تلك المحطات نستجلي موقفه في اختياراته اللغوية،وقد تميز محمد جربوعة بمعجم خاص شمل تقنية خاصة به،جمع فيها بين الطابع البدوي القديم وألفاظ الطبيعة ،وأحسن توظيفها،حيث وظف الشاعر محاسن الصحراء وجمعها في روضة شعرية اجتمع فيها الرمل والناقة والخيل والسَّمر وأخلاق العربي الأصيل والحب العذري،وقد كانت المرأة هي القاسم المشترك بين الغربة والترحال وبين هموم الشاعر،فهو عندما يشد رحاله فمن أجل امرأة وعندما يتعذب فمن

[1] ابن الأثير،المثل السائر،تح:محي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،لبنان،ج:1،(د ط)،(د ت)،ص237

أجلها أيضا،وقد تميز الشاعر محمد جربوعة بقوة لغته ووضوح صورته الشعرية،وتميز كذلك بريادة المدرسة الكعبية،حيث يحاول الجمع بين الغزل العفيف والموضوع الديني الملتزم،وقد مزج في هذا الديوان بينهما،حيث تخير من الألفاظ ما يناسب الجو الملائم،وكما يقول البعض إن للألفاظ أرواحا،ووظيفة التعبير الجيد أن تطلق هذه الأرواح في جوها الملائم فتستطيع الإيحاء ،ومن هنا فإن الشاعر يملك معجمه الخاص ،فهو يعتمد على الألفاظ التي يكون لها تأثيرا على القارئ وحين يعبر ينتقي الكلمات الصادقة المعبرة عن انفعالاته،ففي حالات الحزن تمتلئ الكلمات بالأسى والأنين،وفي حالات الحب تفيض الكلمات عشقا وولها ،ويمكن تصنيف ألفاظه كما يلي:

3- أ- ألفاظ الغزل:

تشير الألفاظ المتعلقة بالغزل والعشق في ديوان "الساعر"لمحمد جربوعة عبر المسلسل الشعري بحسب المحطات،في هذه الأبيات يقول:

وَيقُولُ عَنها إنها جِنِّيـــــــــــةٍ***تُــؤْذي بِرِمْشِ عُيونِها أو تَقتــُل

هَو يَدَّعي أنَّ الفَتاةَ رهيبـــــةٌ *** مَا مِثلها مِنْ جِنسها مَنْ تُذهــُل

إنْ قيلَ عَنْها(بدرٌ)لم يَرقْ لِجنابِها *** أو قيلَ عَنْها ظَبيَةٌ ،لا تقبــــُل[1]

نلاحظ في الأبيات السابقة شيوع ألفاظ دالة على جمال حبيبته الفتّان مثل (جِنّية،تذهل،ظبية) فهذه الألفاظ توحي لنا مدى حبه ومدى شوقه،وتوحي لنا تلك الصورة العظيمة التي يرسها

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص7

الشاعر لفتاة حلمه وهناك في هذه الأبيات ما يعزز قوله في وصفها بهذه الألفاظ وهو كلمة (لم يرق لجنابها) لأن كلمة (جنابها) مميزة خاصة بالشاعر توحي لنا أن هذه الفتاة راقية المقام ذات قيمة كبيرة ومكانة رفيعة في قلب الشاعر توحي لنا أن هذه الفتاة ذات قيمة كبيرة ومكانة رفيعة في قلب الشاعر،وفي موضع آخر يقول على امرأة أخرى:

أنا لَسْتُ أُنْكِرُ أَنَّها جَذَّابةٌ ***مَشوقةٌ كالخَيزُرانِ بِقَدِّها

والبَدرُ يُولَدُ في ضِفافِ عُيُونِها *** والشَّمسُ تُشْرِقُ مِن عِنْدِها[1]

كلمة (جذابة،مشوقة،البدر،الشمس) توحي بمدى جمال هذه المرأة ومدى تأثر الشاعر بهذا الجمال الذي يولد في ضفاف عيونها والشمس التي تشرق من عندها،وفي قوله:

خَجَلُ العُيونِ هُدُوؤُها تَلْميحُها*** مِيسُ الدَّلالِ ذَكاؤها الإغْراءُ[2]

لفظة(الخجل،الهدوء،ميس الدلال، الذكاء،الإغراء)، قَلَّما تجتمع هذه الصفات في امرأة لأن هذه الألفاظ تشير إلى الجمال المعنوي للفتاة مجتمعا مع الجمال المادي الذي نراه يشير له بطريقة تحترم الجمال وتُجلّه مما يدل على النظرة الراقية والعاطفة الفياضة التي يمتلكها الشاعر تجاه الجمال وفي قوله:

وأنا بِطَبْعي عاطفِيٌ عاشقٌ ***إنْ هزَّ قَلْبي الكُحلُ لم أتحملِ

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص37

[2] محمد جربوعة،الساعر،ص44

وفي موضع آخر يقول:

وأنا بِطْبعي عاطفُي عاشقٌ**وإذا رأيتُ الحُسنَ لا أَتحمَّلُ

هذه الألفاظ (عاشق،الحُسن،قلبي ضعيف،لا أقاوم،لا أتحمل) كلها ألفاظ توحي بمدى تأثر الشاعر بجمال المرأة،ورقة شعوره ونبل إحساسه.

3- ب - الألفاظ الدينية:

بالنسبة للمعجم الديني الذي نراه يلازم الشاعر أينما حل ويمتزج بشعره ويتخلله على مدى مسلسله الشعري "الساعر"،فقد استخدم الكثير من الألفاظ الدينية التي تنم عن ذلك البعد الإيماني،والتزامه ومحاولته في جمع الغزل العفيف بالموضوع الديني،فهو حين يزاوج بينهما يهدف إلى السمو بالمرأة عن الحس الشهواني الجسماني،والحديث عن الكحل والعين كما قال هو علاقته بالقلب لا بالجسم ،فقد قال في حوار له على إحدى المجلات:"الحديث عن المزاوجة بين الغزل العفيف المرتبط بالقلب والذوق ،لا بالحس الشهواني الجسماني هو من المدرسة الكعبية،فالحديث عن الكحل والعيون علاقته بالقلب لا بالجسم"[1]،فهو بهذا يحاول الجمع بين الجمال الخُلُقي والجمال الديني،فالحناء التي تحمل مصحفا جمالا ثنائيا (جمال المصحف،جمال الحناء)[2].

[1] عبد الله لالي،حوار مع الشاعر محمد جربوعة،مجلة الأدب الإسلامي،العدد 83،ص29

[2] عبد الله لالي،مجلة الأدب الإسلامي،ص30

فهو على حد قوله:"لا يمكن لشاعر أن يملأ حياة الناس وهو لا يحدثهم إلا عن مدائح..سينصرفون عنه إلى غيره ممن يملأ حياتهم ومطالبهم كلها ومنها المطلب النفسي والشعوري والنفسي الذي إن لم يملأه المباح ملأه الحرام"[1].

ومما لاحظناه في ديوان "الساعر"من ألفاظ دينية قوله:

فــاحْرِمَ متاعكَ.. لسْتَ ضْيفا عِندنا*** وارحل جزآك الله عَنَّا يارُجـــلْ

وقوله:

فإذا انْتَشَى وتلَى القَصَائِد في الدُّجَى***فامْنعه وقُل يا ضَيفُ صلِّ على النَّبي

وفي قوله:

وتُقَلِّبُ الجَبين تَبْتَهِلُ***وَتعُودُ تَذْكُرَ رَبَّها تَسْتغْفـــرُ[2]

وقوله:

وبَكَتْ وَمالتْ كَي تُريني كَفَّها*** وعليه مِيمُ مُحَمَّدٍ حنَّاءا

وقوله:

هو قد نَوى..لكنها الأَقْدارُ***لِلنَّاوي ولا يَخْتَـــــارُ

[1] عبد الله لالي،مجلة الأدب الإسلامي،ص30

[2] محمد جربوعة،الساعر،ص21

فكأنّما المكْتُوبُ يَطْرُقُ بابَهُ*** رءُ في لَوْحِ القَضَا مِسْمَــارُ

وقوله:

كان الفَتى العُذْرِي يَذْكُرَ ربَّه*** ويُحَرِّكُ الشَّفَتَيْن بالقرآن

وفي أبيات أخرى يتأكد ما نصبوا إليه،يقول:

أنا قد أتيتُ لحيِّكُمْ متوجعــا*** هــلِ من طبيبٍ ماهــرٍ أو راقِ

ضَيَّعْتُ عُمْري في القَبَائل عاشِقًا*** مُتَغَزِّلًا بالكُحْلِ والأَحْــداقِ

لَــكنَّني واللهُ يَشهدُ مؤمــنٌ*** مَاذُقتُ يوما مايَصبُّ السَّــاقي[1]

فهذا السجل الديني الذي أورده الشاعر محمد جربوعة دليل كافي على عذريته ونزوحه للألفاظ الدينية،وهذه الألفاظ (صل على النبي،تذكر ربها،تستغفر،سبحان،ميم محمد،الأقدار،المكتوب،لوح القضا،تحرك الشفتين بالقرآن،راق،الله يشهد،مؤمن،ما ذقت ما يصب الساقي) كلها ألفاظ لها دلالات قوية وموحية تدل على عمق وتجذر الموضوع الديني في أعماقه وحبه لمن خلق الجمال،ومزاوجته بين الغزل العفيف والكلمة الدينية متحديا من يقولون إن الشعر لا يكون إلا ماجنا،فهو يحوِّل المرأة بهذه الممازجة إلى زهرة تتحول بدورها إلى قطرة عطر،ويريد أن يجعلها في بيتها الزجاجي الذي أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال رفقا بالقوارير.

[1] محمد جربوعة،الساعر،183

3- ج- ألفاظ شامية:

مما لاحظناه عند الشاعر محمد جربوعة في هذا الديوان" الساعر" هو استخدام بعض الألفاظ الشامية وربما يرجع ذلك إلى تأثره باللهجة الشامية وهذا راجع إلى بقائه في سوريا أكثر من سبعة عشر سنة،إضافة إلى أنه متزوج من هناك،وهذا ما ترك بصمة على شعره،وجعله يستخدم بعض الألفاظ التي تنحدر من المشرق،فهو حينما يقول:

إنْ قيَل بـ َـذّر لم يـ ُـرِقْ لجـ َـنـَا ِ بها***وقيل عَنْها ظَنِيةٌ ،لا تَقْبـَـل ُ

فكلمة جنابها كلمة مستعملة في الوسط المشرقي والمقصود منها الرفع من قدر الإنسان ووضعه في مكانة محترمة تليق بمقامه.

وقوله:

شَدَّ الثِّيابَ على الضلوع بقوة***نادى(دخيل الله فلتسقونا)[1]

كلمة "دخيل الله" هي أيضا شائعة في الوسط الشامي والقصد منها التوسل والاستعطاف لحاله فهو في هذه الحالة يستعطف من معه قائلا أرجوكم اسقوني شربة ماء ،وهناك العديد من الألفاظ مثل كلمة"على نياته" التي نجدها مستعملة في الشام والمعن أن الشخص على نياته ،طيب لا وجود للحيلة والمكر في قاموسه،او ربما تعني الغفلة حيث يكون الفرد غافلا عما يدور حوله،ولا علم له بما يجري،وتوجد كذلك كلمة"متأنق،وبؤبؤ"فالأولى تعني الجمال والأناقة والظهور المشرف،والثانية

[1] محمد جربوعة،الساعر،ص118

تعني سواد العين وسواد العين له مكانة خاصة من العين نفسها،كذلك هناك لفظة"مهبول"وكلمة "يجنن" التي كثيرا ما تستعمل في المحيط الشامي والمشرقي،وفي قوله:

أنا ُدونَ شِعرِكَ وْرَدَةٌ مَنسِّيةٌ*** لا ُرْحتُ يا َملكَ الهَ َوى لا ِجيتُ

عبارة(لا رحت لا جيت)متداولة في الوسط الشامي ومعناها أنه رفع مقامها بقوله الشعر فيها،وهناك الكثير من الألفاظ الشامية المستعملة في شعره على العموم وفي هذا الديوان على الخصوص تدل على تأثره بالبيئة الشامية وأخذه منها.

وهكذا فقد كان لمحمد جربوعة قاموسه الشعري الذي تميز به عن غيره وكانت بصمته مميزة في استعمال تلك الألفاظ ،الطبيعية أو الغزلية أو تلك الألفاظ المستقاة من البيئة الشامية، وهي في الحقيقة عربية،وما كان واضحا في هذا الديوان هو نزوحه إلى الألفاظ الدينية التي كانت غالبة على غيرها،فزاوج بين الألفاظ الغزلية والموضوع الديني فتولد عنه شعرا عفيفا وألفاظا بسيطة وقوية المعنى.

مما سبق من أنماط فإن الشاعر ينظر إلى المرأة نظرة مختلفة عن الشعراء القدامى الذين نظروا لها نظرة مادية جسدية شهوانية فيجعل لها مكانة خاصة ،يسمو بها و يعلي من شأنها، وتميز شعره بالعذرية العفيفة،أما التناص فقد كان حاضرا بجميع أشكاله تقريبا،وقد تميزت لغته بالبساطة والانسياب وكان له معجما شعريا مميزا يجمع بين الطبيعة والغزل وتلك الالفاظ الشامية التي ميزته عن غيره.

خـــاتمـــــــــة

هذه الدراسة الموسومة ب:صورة المرأة في ديوان الساعر لصاحبه الشاعر محمد جربوعة أسفرت على عدة نتائج،وطبعا هذه النتائج لها من الأسباب ما يحيط بها ويوجهها،ولها من المؤثرات ما يؤثر فيها،فالنشأة والتعليم ،والالتزام والأسفار واستقرار الشاعر في الشام لأزيد من سبعة عشر سنة كان لها أثرا في تشكيل رؤيته وصقل موهبته الشعرية،ومما استنتجناه في هذا البحث:

- حضور المرأة بشكل مكثف في الشعر العربي القديم وخاصة الجاهلي منه والرؤية المادية الجسدية التي كان الشاعر يصور بها المرأة في أشعاره،فهي مجرد متاع يلهو به،إلا في بعض الأشعار التي كان يخاطب الشاعر روح المرأة وعقلها وخاصة عند الشعراء العذريين.
- حظور المرأة كذلك في الشعر المعاصر لكن بشكل مغاير عن الشكل الموجود في الشعر القديم،ورغم التصوير الجسدي فإن المرأة أصبحت تمثل رمزا يلجأ إليه الشاعر ومن خلاله يعبر عن قضايا الأرض والوطن والحرية إلى غير ذلك.
- الشاعر محمد جربوعة من الشعراء الذين يعلون من شأن المرأة،فهو يسمو بها ويخاطب فيها العقل والروح،والدليل على ذلك أنه في هذا الديوان تعرض لعدة أنماط من النساء منها الحكيمة والحاكمة والتاجرة والحبيبة..وكل هؤلاء تجمعهن صفة حب الشعر وهذه صفة تدل على ذوق المرأة وتميزها
- كذلك تميز الشاعر بشعره العذري الذي يجمع بين وصف المحبوبة وجمالها الروحي الكامن، فصورها في أسمى صورها من الأخلاق و الحسن و الجمال و بهاء النفس.وحديثه عن الكحل والعين علاقته بالقلب والروح وليس بالجسم والحس الشهواني الجسماني.

- الشاعر يعتبر نفسه محيي المدرسة الكعبية التي تجمع بين الغزل العفيف والموضوع الديني،ويعتبر نفسه هو رائد المدرسة الكعبية التي جمعت بين الكلمة الدينية والغزل الطاهر.
- كذلك الطابع القصصي الذي يظهر في هذا الديوان،حيث تتوافر شروط القصة من أحداث،وشخصيات وحوار و حبكة..فيتداخل الشعر بالقصة.
- وما يميز القصة الكبرى التي هي رحلة البحث عن المحبوبة هو تداخل عدة قصص لتشكل قصة واحدة وهي رحلة البحث عن المحبوبة،وتعلق الشاعر بفتاة من كل قبيلة يصلح أن يكون رواية أو قصة قائمة بذاتها لتوفرها على شروط القصة،وبذلك يصبح مسلسل الساعر مجموعة قصص جزئية متكاملة تترابط لتنتج لنا القصة الكبرى،وغياب المحبوبة الذي يستدعي لقاءا مؤجلا يخلفه حضورا لنساء كثيرات في المشهد.
- الشاعر يريد أن يرقى بالمرأة ويخاطب فيها الروح والعقل،وما استنتجناه من كلامه أن هناك قصيدة تعمل على الارتقاء بالمرأة..بذوقها بعواطفها بكلامها بلباسها..وهناك قصيدة لا تريد من المرأة سوى اللحم وهي قصيدة لا يختلف الشاعر فيها عن الجزار ونظرته إلى البقرة،وعلى المرأة أن تختار بين أن تكون نسمة ملهمة،وبين أن تكون مجرد كومة لحم يركلها الرجل بعد أسبوع أو عام ليتحول إلى أخرى غيرها.
- كذلك التناص بأنواعه الديني والتاريخي والأسطوري،والتراثي كان شيئا ملاحظا وهذا يعكس ثقافة الشاعر الواسعة واطلاعه على الموروث الديني والأدبي والأسطوري وقدرته على توظيف هذا الموروث بالشكل المناسب في الوقت المناسب.لدى الشاعر.

- لدى الشاعر معجم شعري واسع تميز بالطابع الديني مع الغزلي بالإضافة إلى تلك الألفاظ التي تميزه وهي الأفاظ الشامية التي أضفت طابعاخاصا ميّزه عن غيره من الشعراء.

في الأخير أقول: إن كنتُ وفّقت فالتوفيق من ربي العالمين،وإن كان غير ذلك فحسبي أنني أخلصت النية وبذلت الجهد،ولله الحمد.

ملحـــــــــــق

نبذة عن حياة الشاعر:

محمد جربوعة شاعر كاتب وإعلامي جزائري ولد في 1967/08/20بقرية الثنايا الواقعة بين مدينتي صالح باي وعين أزال في ولاية سطيف شرق الجزائر،تلقى تعليمه الأول في مدينة عين أزال،حفظ القرآن الكريم بثلاث قراءات ،ورش،وحفص،وقالون،تحصل على بكالوريوس زراعة من جامعة الفاتح ليبيا، ومكث في سوريا أكثر من سبعة عشر سنة،و عمل في مناصب علّة منها أنه عمل مستشار إعلامي في ليبيا،ومذيعا و معد برامج في إذاعة صوت الوطن العربي الكبير في ليبيا سنة(1999-2000)،ومدير تحرير في مجلة سومر بسوريا سنة(2000-2001)وباحث في مركز التوثيق القومي بسوريا،مدير عام ورئيس مجلس إدارة قناة اللافتة الفضائية،مدير عام ورئيس مجلس قناة العربي الفضائية،رئيس تحرير مجلة العنوان الدولي القبرصية،رئيس تحرير مجلة الشاهد،المحرر الرئيسي ورئيس تحرير (الموسوعة الحمراء) فيها عشرة مجلدات، يعد من أكثر الإعلاميين والكتاب العرب إنتاجا،حيث تجاوزت إصداراته الستين مؤلَّفا منها في الشعر:

- رماد القوافي – الجزائر 1997
- آه – دار الشمس – طرابلس – ليبيا 1999
- وزراء الدفاع سأشتمكم بعد الفاصل – دمشق 2006
- جالسا على حقائب السفر – قبرص- 2009
- معلقات صفراء – الجزء الأول

- الساعر

- حيزيه

- مطر يتأمل القطة من نافذته

- لمن هذا الزر الأحمر؟

- وعيناها

- قدر حبه

- ثم سكت

- اللوح

- خيول الفجيعة (ديوان مسموع- قبرص)

- وقال نسوة في المدينة (ديوان مسموع- قبرص)

- حوار مع كلب (ديوان مسموع- قبرص)

- وتحسبونه هينا (ديوان مسموع- قبرص)

- حكايات أنثى (ديوان مسموع- قبرص)

وإضافة إلى الشعر له في الرواية مؤلفات، ومن رواياته التي صدرت عن مكتبة العبيكان في السعودية: "غريب"، "خيول الشوق"، المجنون،"دماء جزائرية في الضباب"،"صاحب الوجه الشريد"،"فانوس الحي القديم"...

وفي دمشق صدر له روايتي: "الإرهابي"،و "أحدهم تسلل إلى ديمونة"

كما أنّ له كتبا سياسية هامة، وأدبية وفكرية أخرى منها:

- الإيدز الأدبي.

- رسالة عاجلة إلى الكونغرس والشعب الأمريكي.

- نظرية القوة البديلة .

- الخارجون عن القانون يصنعون العالم.

- نقد التجربة الإعلامية الإسلامية .

- رصاصة في الدماغ .

- آفاق لجزائر عظمى في المشهد الإقليمي والعالمي.

- محاكمة الجماعات الإسلامية على ضوء السيرة النبوية.

- هولوكوست الجزائر.

- العمامة السوداء.

- إلى بابا الفاتيكان/ مترجم إلى الإنجليزية.

- في مواجهة الإيدز الأدبي.

-أفريقيا .

- التيارات الإسلامية من الهجرة إلى الحبشة إلى الهجرة إلى لعبة المصالح والنفط.

- الجماعات الإسلامية وتحديات الخروج من الزاوية المعتمة.

- تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست.

- قناة الجزيرة المطلوب رقم واحد.

- نظرية الشورى.

- مهلا هنتنغتون مهلا فوكوياما / مترجم للإنجليزية.

- أسامة بن لادن وظاهرة العنف الديني ..لماذا؟.

- غوانتانامو أسرار خلف أسرار العار.

- الليبرالية العربية الطابور الخامس.

- معارضو الأنابيب.

- تنمية الشخصية وصناعة النجاح.

- الغرفة الأمريكية السوداء- وكالة الاستخبارات المركزية تحت المجهر.

-لعبة الشطرنج المسمومة.

- القرآن تحت يد البنتاغون.

تميز في شعره بالالتزام وبما يسميه هو(المدرسة الكعبية) التي تنسب لكعب بن زهير،ويرى نفسه رائدها ومؤسسها ،وتتميز بين الغزل العفيف والموضوع الديني الملتزم،غير أنه تميّز عن غيره بالصورة الشعرية الجديدة،ترجمت له بعض الأعمال من كتب ومقالات[1]

[1] http://ar.wikipedia.org/wiki/يوم الخميس 9أفريل 2015 ، الساعة: 17:54

قائمـــة المصادر و المراجـــع

القرآن الكريم ، برواية حفص

أولا – المصادر :

1. ابن الأثير،المثل السائر،تح:محي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،لبنان،ج:1، (دط)،(د ت).
2. ابن قتيبة ،الشعر والشعراء ،تحقيق احمد محمد شاكر،دار الحديث،القاهرة ، ط1،2006 .
3. قدامة بن جعفر،نقد الشعر،تح محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون،مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة،مصر،ط2،(دت)
4. محمد جربوعة،الساعر،البدر الساطع للطباعة والنشر،ط1،2014.

ثانيا - المراجع:

1. أحمد الأمين الشنقيطي،شرح المعلقات العشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د.ط)،2004.
2. احمد حيدوش،شعرية المرأة وانوثة القصيدة،منشورات اتحاد الكتاب،دمشق ،سوريا،(دط)،2010
3. أحمد الطويلي،الحب العذري ،الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم،تونس، ط1 ،2012.
4. التهامي الهاني،الوطن والمرأة في شعر نزار قباني،صامد للنشر والتوزيع،.صفاقص،تونس ،ط2 ،2008.
5. حسن عبد الجليل يوسف،المرأة عند شعراء صدر الإسلام دار السلام للطباعة والنشر،القاهرة،مصر،ط1،2006.

6. خليل محمود عودة،صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة،دار الكتب العلمية،لبنان،ط1998،1

7. زايدعلى عشري،عن بناء القصيدة العربية الحديثة ،الضحى للطباعة،(دط)،(دت)

8. الزوزني،شرح المعلقات السبع بيت الحكمة،العلمة،الجزائر،ط1 ، 2010.

9. صلاح الدين الهواري،المرأة في شعر نزار قباني،دار البحار،بيروت،لبنان،(دط)،2008.

10. علي الطنطاوي ، فكر و مباحث ، دار المنارة ،جدة ،ط 2 ،2011 .

11. عبد العزيز عتيق،علم العروض والقافية،دار النهضة العربية،بيروت،لبنانّ،ط1،(دت).

12. عمر فاروق الطباع،مواقف في الأدب الأموي،دارالعلوم،بيروت،لبنان،ط1،1991

13. ابو القاسم الشابي،الخيال الشعري عند العرب،دار الحكمة،العلمة،الجزائر،2013.

14. محمد مصطفى ابو الشوارب،علم العروض وتطبيقاته منهج تعليمي مبسط،دار الوفاء،الإسكندرية،مصر،ط1،2004.

15. الملائكة نازك،قضايا الشعر المعاصر،منشورات مكتبة النهضة،بغداد،العراق،ط2،(دت).

16. عبد الملك مرتاض ،مائة قضية وقضية،دار هومة،الجزائر،(د ط)،(دت)

17. يحي عبد الجليل يوسف،المرأة، المرأة عند شعراء صدر الإسلام،دار السلام للطباعة، ط1،2002.

ثالثا – المجلة :

1. عبد الله لالي،حوار مع الشاعر محمد جربوعة،مجلة الأدب الإسلامي،العدد 83،تصدر عن رابطة الادب الاسلامي العالمية،السعودية،2014.

رابعا – الرسائل الجامعية :

1. دحمان ميلودي،صورة المرأة في الشعر القديم،مذكرة ماجستير،جامعة ورقلة،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،2009.

2. سلمان مهنا،صورة المرأة في شعر صعاليك الجاهلية والإسلام،رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية ،غزة،فلسطين،كلية الآداب،2007

3. عاطفة فيصل،صورة المرأة بين الشعر التقليدي والشعر الحديث في سوريا،رسالة ماجستير،جامعة دمشق،كلية الآداب،1975.

4. علي بن أحمد بن محمد الزهراني، صورة المرأة في شعر يحى توفيق، رسالة ماجستير،جامعة مؤته، كلية الآداب واللغات ،فلسطين ، (دط)،2008.

5. عبد العزيز بزيان،صورة المرأة في شعر صعاليك العصر الجاهلي،رسالة ماجستير،جامعة منتوري،كلية الآداب،قسنطينة،2012.

6. يوسف عبد المجيد فالح الصخور، صورة المرأة في شعر خليل مطران، رسالة ماجستير،جامعة ،مؤنه، كلية الأداب2011.

خامسا – المواقع الالكترونية

www.alhewar.org

www.acadimia.eduK25

www.lebanese writery.orK25

www.alriyadh.com.26.12.2014.9h :55

www.darwich foundatin.org.12.02.2015.10h55

www.arabs48.com.10.02.2015.10h15،

www.ruowaa.com

http://ar.wikipedia.org/wiki·

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ ب ج

تمهيد.....5

الفصل الأول : صورة المرأة في الشعر العربي.....8

أولا-صورة المرأة في الموروث الشعري القديم.....9

1-الصورة المادية.....9

2-الصورة المعنوية.....17

ثانيا-صورة المرأة في الشعر المعاصر.....21

1صورة المرأة عند نزار قباني.....21

1-أ -الأم في شعر نزار.....23

1-ب- الحبيبة عند نزار قباني.....26

1-ج- المرأة كقضية عند نزار قباني.....30

2 صورة المرأة عند محمود درويش.....33

الفصل الثاني:صورة المرأة في الديوان.....38

أولا-أنماط المرأة في الديوان.....39

1- المرأة-الحكمة.....39

2- المرأة –السلطة.....42

3-المرأة- العنوسة.....44

4-المرأة- التجارة.....46

5-المرأة- الحبيبة.....48

ثانيا-تجليات العذرية في ديوان"الساعر".....51

ثالثا-التناص في الديوان.....59

1-التناص الديني.....59

2-التناص الدبي.....62

3-التناص الأسطوري.....64

4-التناص التراثي.....66

رابعا-الخصائص الفنية.....68

1اللغة والأسلوب.....68

2-البنية الإيقاعية.....70

2-أ- الوزن.....71

2-ب- القافية.....72

3-المعجم الشعري.....75

3-أ- ألفاظ الغزل.....76

3-ب- الألفاظ الدينية.....78

3-ج- الألفاظ الشامية.....81

الخاتمة.....83

ملحق.....87

قائمة المصادر والمراجع.....93

الفهرس.....98

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء صورة المرأة في ديوان " الساعر" للشاعر "محمد جربوعة"و الوقوف على نظرة الشاعر العربي القديم و المعاصر من خلال طبيعة تصويره لها، سواء كان تصويرا حسيا أو تصويرا معنويا، و على هذا الأساس انتظم هذا البحث في فصلين تسبقهما مقدمة و تمهيد أما الفصل الأول فقد تضمن صورة المرأة في الشعر العربي القديم و المعاصر، و أما الفصل الثاني فخصص للشاعر "محمد جربوعة" و ديوانه الموسوم "بالساعر" : تضمن أنماط المرأة كعنصر أول ثم تجليات العذرية في الديوان. ثم التناص و الخصائص الفنية و انتهى البحث بخاتمة كانت حوصلة و نتيجة للبحث.

Résumé :

Ce travail a comme objectif l'étude de l'image de la femme dans l'anthologie « Essaïr » du poète « Mohamed Djerbouâa » et la mise en évidence de la vision du poète arabe, traditionnel et contemporain, vis-à-vis la femme à travers la description de cette dernière dans sa poésie ; que ce soit une description physique ou morale. Et de ce fait, cette recherche a été menée en deux chapitres après une préface et une introduction.

Le premier chapitre a été consacré à l'étude de l'image de la femme dans la poésie arabe traditionnelle et contemporaine. Quand au deuxième chapitre, il a été réservé au poète « Mohamed Djerbouâa » et l'étude de son recueil de poèmes intitulé « Essaïr ». Et comme premier élément dans ce 2ème chapitre : les différents types de femmes, puis la présence de l'érotisme dans le recueil et l'intertextualité ainsi que les caractéristiques artistiques. Finalement, la recherche a été clôturée par une conclusion sous forme d'une synthèse des résultats de cette recherche.